رؤية شاملة على نعمة الله

MOSES C. ONWUBIKO

المترجمة: د/ريهام زاهر حنا

رؤية شاملة على نعمة الله

بقلم: موسيس سي. أونوبيكو

خدمات النعمة الإنجيلية، ناشفيل، تينيسي، الولايات المتحدة الأمريكية

الكتاب: رؤية شاملة على نعمة الله

المؤلف: موسيس سي. أونوبيكو

المترجمة: د. ريهام زاهر حنا

خدمات النعمة الإنجيلية (Grace Evangelistic Ministries, Inc.)

صندوق بريد ١١١٩٩٩
ناشفيل، تينيسي ٣٧٢٢٢، الولايات المتحدة الأمريكية

الموقع الإلكتروني:
www.GEMworldwide.org

تم اقتباس آيات الكتاب المقدس (ما لم يُذكر خلاف ذلك) من **الكتاب المقدس – ترجمة النسخة الأمريكية الجديدة(New American Standard Bible – NASB)**
١٩٦٠ ©، ١٩٦٢، ١٩٦٣، ١٩٦٨، ١٩٧١، ١٩٧٢، ١٩٧٣، ١٩٧٥، ١٩٧٧، ١٩٩٥, **the Lockman Foundation)**جميع الحقوق محفوظة لمؤسسة لوكمان

تم الاستخدام بإذن من الموقع:

www.Lockman.org

الكلمات والعبارات الموضوعة بين أقواس مربعة [] هي إضافات أو توضيحات من قِبل المؤلف، ولا تُعد جزءًا من النص الأصلي.

خدمات النعمة الإنجيلية (Grace Evangelistic Ministries, Inc.)

صندوق بريد ١١١٩٩٩
ناشفيل، تينيسي ٣٧٢٢٢، الولايات المتحدة الأمريكية

الموقع الإلكتروني:
www.GEMworldwide.org

١٩٩٧ ©، ٢٠٠٣، ٢٠٠٤، ٢٠٠٦، تمت المراجعة في ٢٠٠٧، ٢٠١٣

بقلم: موسيس سي. أونوبيكو

جميع الحقوق محفوظة. لا يجوز إعادة إنتاج أي جزء من هذا المنشور أو نقله بأي وسيلة كانت، سواء إلكترونية أو ميكنية، بما في ذلك التصوير الضوئي أو التسجيل أو أنظمة تخزين المعلومات واسترجاعها، دون الحصول على إذن كتابي مسبق من الناشر.

تم اقتباس آيات الكتاب المقدس (ما لم يُذكر خلاف ذلك) من **الكتاب المقدس – ترجمة النسخة الأمريكية الجديدة (New American Standard Bible – NASB)**
١٩٦٠ ©، ١٩٦٢، ١٩٦٣، ١٩٦٨، ١٩٧١، ١٩٧٢، ١٩٧٣، ١٩٧٥، ١٩٧٧، ١٩٩٥, **the Lockman Foundation)** جميع الحقوق محفوظة لمؤسسة لوكمان

تم الاستخدام بإذن من الموقع:

www.Lockman.org

الكلمات والعبارات الموضوعة بين أقواس مربعة [] هي إضافات أو توضيحات من قِبل المؤلف، ولا تُعد جزءًا من النص الأصلي.

الاقتباسات المشار إليها بـ:**NIV** مأخوذة من
الكتاب المقدس – النسخة العالمية الجديدة (New International Version®)
١٩٧٣ ©، ١٩٧٨، ١٩٨٤، الجمعية الدولية للكتاب المقدس.
تم الاستخدام بإذن من **Zondervan**.

جميع الحقوق محفوظة

تمت الطباعة في الولايات المتحدة الأمريكية.

جدول المحتويات

شكر وتقدير ١
دعوة مفتوحة ٢
إلى المؤمن بالمسيح ٣
صلاتي من أجل القارئ ٤
التمهيد ٥
المقدمة ٦

الفصل الأول: النعمة على اتساعها اللا محدود ٩
الفصل الثاني: استيعاب النعمة ١٢
فهم الله: مانح النعمة ١٢
الإنسان: متلقّي النعمة ١٧
الإنسان: مرشح للخلاص ١٧
مانح خلاص الإنسان ١٩
جهود الإنسان مستثناة من النعمة ٢٠
محبة الله التي لا تفشل ٢١
الحرية المطلقة للنعمة الإلهية للإنسان ٢٣
الدافع الوحيد للمحبة: فيض وجود الله وسخاؤه ٢٤
النعمة غير المكتسبة وغير المستحقة للإنسان ٢٦

الفصل الثالث: نعمة الله المُعلَنة ٣٠
في الخليقة ٣٠
في الملائكة ٣٠
في الطيور والحيوانات ٣١
خلق الإنسان ٣١
الرجل: آدم ٣١

المرأة: إيشاه ٣٤
نعمة الله في جنة عدن ٣٤
نعمة الله بعد السقوط ٣٥
النعمة وجدت طريقًا ٤١
حل الله للفداء: الأعمال البشرية مرفوضة ٤١

الفصل الرابع: الأهمية الساحقة للنعمة ٤٥
ما الذي أسهم به الإنسان عند خلقه؟ ٤٥
ما الذي حفّز سلوك آدم بعد السقوط؟ ٤٥
نعمة الله تجاه إبراهيم ٤٧
إسناد بر الله لإبراهيم ٤٧
بولس يدافع بقوة عن إيمان إبراهيم بالمسيح وحده ٤٨
النعمة مقابل الأعمال ٤٨
الدفاع الأول: الختان كعمل بشري ٥٠
الدفاع الثاني: الالتزام بالشريعة – أعمال من أجل الخلاص ٥٠
هل هناك أعمال بعد الخلاص؟ ٥٢

الفصل الخامس: الإدانة ٥٤
الإدانة في الجنة ٥٤
الإدانة عند الولادة ٥٤
حل الفداء ٥٥
لماذا خلق الله الإنسان؟ ٥٥
إخفاقات الإنسان تقابلها نعمة الله ٥٦
بركة أم عقوبة؟ ٥٦
الإنجيل الأول (النبوة الأولى بالخلاص) ٥٧
العداوة بين الشيطان والمرأة ٥٨

العداوة بين الشيطان والمسيح ٥٨
جرح المسيح (الآلام التي احتملها) ٥٨
جرح الشيطان (هزيمته) ٥٩

الفصل السادس: خلاص إسرائيل ٦٠
التعليمات: خروج الإصحاح ١٢ (مقتطفات) ٦٠
خروف الفصح ٦١
دم الحيوان ٦١
دم المسيح ٦٢
الإنجيل ٦٤
الخلاص: الآليات ٦٤
لحظة الخلاص ٦٥
خدمة الروح القدس في الخلاص ٦٦
الوقود الروحي ٦٧

الفصل السابع: نعمة الله تجاه إسرائيل ٧٠
إسرائيل التاريخية: البداية ٧٠
نعمة الله هي بركة إسرائيل ٧١
الله قاد إسرائيل بنعمته ٧٣
الإخفاق الأول: خروج ١٤ – البحر الأحمر ٧٣
الإخفاق الثاني: خروج ١٥ – المياه في مارة ٧٤
الإخفاق الثالث: خروج ١٦ – المنّ في البرية ٧٥
الإخفاق الرابع: خروج ١٧ – الماء في رفيديم ٧٥
الإخفاق الخامس: العدد ٢٠ – فشل القيادة في مريبة ٧٦
الله في الجسد، النعمة المتجسدة ٧٨
بولس يندب رفض إسرائيل للمسيح ٧٩

مستقبل إسرائيل ٧٩
حماية النعمة لإسرائيل ٨١
أفكار ختامية ٨٢
عينه على العصفور (رمز رعاية الله الكاملة) ٨٣

كلمات الشكر والتقدير

أغتنم هذه اللحظة لأعبر عن خالص امتناني لأعضاء مجلس إدارة **خدمات النعمة الإنجيلية،** ولجميع الشركاء من الأفراد والكنائس الذين يعملون معنا في خدمة الله.

إن دعمكم المالي وصلواتكم يؤتيان ثمارهما بالفعل لمجد إلهنا القدير. إن التزامكم وتفانيكم في عمل الرب يتجاوز كل حساب بشري.

أخص بالشكر والتقدير العميق **العقيد آر. بي. ثيم الابن،** الراعي السابق لكنيسة بيراكاه، في ٥١٣٩ شارع ويست ألاباما، هيوستن، تكساس، وذلك من أجل خدمته الأمينة في نقل تعاليم الكتاب المقدس السليمة. العقيد ثيم كاتب غزير الإنتاج يتمتع بإلمام ملحوظ بلغات الكتاب المقدس الاصلية: **العبرية، واليونانية، والآرامية.**

وبفضل مثابرته من أجل مخلصنا وكلمته، أقدم له شكري الدائم الذي لا ينتهي.

كما أنني ممتن بعمق للتعليم المنهجي الدقيق الذي قدمه الراحل الدكتور **لويس سبيري شيفر،** الرئيس المؤسس لمعهد دالاس اللاهوتي، لعمله الرائد في كشف حقائق عصر الكنيسة.

وفي قمة امتناني، أرفع أسمى تحية إجلال وتقدير إلى أعز أصدقائي،
ملك الملوك، ورب الأرباب، النجم الصباحي المنير،
سيدي الأبدي ومخلصي يسوع المسيح.

فبفضل ذبيحته الكفارية الفعّالة على الصليب قبل أكثر من ألفي عام،
أصبح بإمكاني أن أنقل **كلمة الله** من خلال هذا الكتاب.

دعوة للخلاص

لا يمكنك أن تستفيد من المعلومات الواردة في هذا الكتاب إلا إذا وُلدت من جديد، أي وُلدت روحيًا. والخبر السار هو أنك تستطيع أن تولد من جديد وتنضم إلى عائلة الله في هذه اللحظة بالذات.

عندما كان ربنا يسوع المسيح معلقًا على الصليب، كان يفكر فيك شخصيًا. لم تُرتكب أي خطيئة، مهما كانت فظيعة، إلا وسُكبت على يسوع المسيح على الصليب وأُدينت (١بطرس ٢: ٢٤). بصفته الإله والإنسان، تحمل يسوع المسيح كل الآلام والإهانات والأوجاع لكي يمنحك الحياة الأبدية.

السؤال الآن: هل تؤمن أن ثمنه الذي دفعه عن خطاياك كافٍ ليأخذك إلى السماء؟

كل إنسان صالح قد أخطأ، وكلهم يقصرون عن بر الله الكامل. الله يدين الجميع (رومية ٣: ٢٣). لذلك، الصالح والطالح يحتاجان إلى مخلص.

بغض النظر عن مدى صلاحك أو خطيتك أو فشلك في الماضي، يمكنك أن تبدأ حياة جديدة كعضو في عائلة الله الآن.

كيف؟

ببساطة، أخبر الله الآب بصمت أنك تؤمن بابنه يسوع المسيح كمخلص شخصي لك. في اللحظة التي تضع فيها ثقتك في الرب يسوع المسيح، تصبح تلقائيًا عضوًا في عائلة الله! وقد قال يسوع المسيح بنفسه:

«إلّا تؤمنوا أني أنا هو، تموتون في خطاياكم» (يوحنا ٨: ٢٤)

المسألة هي الإيمان بالمسيح وحده.

لأنكم بالنعمة مخلصون، عن طريق الإيمان، وهذا ليس منكم، هو عطية الله، ليس من الأعمال، كي لا يفتخر أحد (أفسس ٢: ٨-٩).

لأن الله أحب العالم حبًا عظيمًا حتى بذل ابنه الوحيد، كي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية (يوحنا ٣: ١٦).

هل ستؤمن به الآن؟

الإيمان وحده بالمسيح وحده هو الطريق الوحيد إلى الحياة الأبدية.

يمكنك التوقف الآن ووضع ثقتك في الرب يسوع المسيح.

وإذا كنت قد آمنت به كمخلص شخصي لك، فتابع القراءة.

إلى المؤمن بالمسيح

بما أنك عضو في عائلة الله بالإيمان وحده بالمسيح وحده، فلك وصول مباشر إلى أبوك السماوي؛ وبالتالي، أصبحت خطاياك شأنًا خاصا مسيحيا عائليًا. ولكي تفهم وتستفيد من قراءة هذا الكتاب يجب أن يتحكم الروح القدس في روحك؛ ومع ذلك، لا يستطيع الروح القدس أن يتحكم في روحك إذا كان هناك أي خطية غير معترف بها في حياتك.

"إذا اعترفنا بخطايانا، فهو [الله الآب] أمين وعادل، فيغفر لنا خطايانا ويطهّرنا من كل إثم" (١يوحنا ١: ٩).

في الاعتراف،

وهو الإقرار بخطاياك مباشرةً أمام الله، وليس أمام الآخرين تتفق أنت الخاطئ مع الله على حقيقة أن فكرتك أو كلمتك أو عملك السلبي كان خطية الله قد أدانها بالفعل وحكم عليها كخطيئة، ويتوقع منك أن تعترف له بأنها خطية. الاعتراف لله هو الوسيلة الوحيدة لاستعادة العلاقة الصحيحة مع الله بعد ارتكاب الخطيئة. وكما في الخلاص، فإن الاستعادة إلى الشركة مع الله تقوم على النعمة وحدها وليس على أعمالك.

عندما لا يكون لديك أي خطيئة غير مُعترَف بها في حياتك، تُستعاد علاقتك مع الله مرة أخرى تصبح تحت سيطرة الروح القدس، الذي لم يعد يُخمد أو يُحزن. هذه هي الحياة الروحية الحقيقية.

والآن، في خصوصية روحك، يجب أن تتوقف وتعترف أمام الله بأيّة خطايا غير مُعترَف بها، لكي يتمكن الروح القدس من جعل تعاليم هذا الكتاب واضحة وفعّالة في حياتك.

صلاتي من أجل القارئ

أيها الآب السماوي الحبيب،
أصلي من أجل الذين سيقرأون هذا الكتاب، أن تنير أذهانهم تمامًا بفهم نعمتك العميقة التي لا تُدرك، والفريدة التي لا تضاهى، واللا محدودة التي لا تُقارن.
أتضرع بخشوع أن تُفتح أعينهم الداخلية ليروا "مدى الاتساع والعلو والارتفاع والعمق" لنعمتك الثابتة التي تمتد على جميع البشر.
ليكن فهمهم لهذا التعليم بمثابة حلقة وصل مع تعاليم كتابية أخرى، مثل الخلاص بالنعمة والأمان الأبدي لأولئك الذين وضعوا ثقتهم شخصيًا في الرب يسوع المسيح.
ليتمتع أبناؤك، الذين قد تكون هذه النظرة الجديدة إلى نعمته لهم، بشعور من الراحة في ختام هذا العرض الكتابي.
ونطلب منك أن تتحقق وعدك في (يوحنا ٨: ٣٢) الذي يقول: "وتعرفون الحق، والحق يحرركم"، لأولئك الذين يقتربون من هذا التعليم بقلب متواضع وعقل مفتوح.
ليتحرروا من عبودية التشريع الصارم.
شكرًا لك، أيها الآب، لأنك تستجيب لهذه الصلاة المقدمة باسم ملك الملوك ورب الأرباب ومخلصنا، يسوع المسيح. آمين.

افتتاحية

أنت تعيش وتعمل في عصر الكنيسة، أعظم وأروع فترة في تاريخ البشرية؛
فترة يسكن فيها الله الآب، والله الابن، والله الروح القدس في جسد المؤمن الفاني؛
فترة اكتمال قانون الكتاب المقدس؛ فترة تُسلط فيها نعمة الله الضوء، وتُبرز بخط مائل، وتُكتب بأحرف كبيرة، وتُؤكد تحتها، ببساطة، لم يكن هناك وقت مثل هذا في تاريخ البشرية كله
النعمة كانت دائمًا هي الأساس في سياسة الله في تعامله مع خليقته، لكن نعمة الله تتجلى وتُظهر بوضوح في هذه المرحلة من التاريخ البشري.

على سبيل المثال، في عصر اليهودية، كان لدى الله برنامج تحكمه مجموعة قوانين؛
تحديدًا ٦١٣ قانونًا. وكان مستوى الحياة الروحية في ذلك الزمان يُقاس بمسطرة الشريعة الموسوية.لكن على الصليب، أكمل المسيح الشريعة كلها، وفتح فورًا فصلًا جديدًا للبشرية جمعاء.

وقد أشار الرسول يوحنا إلى ذلك حين كتب:
"لأنه من ملئه نحن جميعًا أخذنا، نعمّةً فوق نعمّة. لأن الناموس أعطي بواسطة موسى، أما النعمة والحق فصارا بيسوع المسيح" (يوحنا ١: ١٦-١٧).

"المسيح هو نهاية الناموس للبر لكل من يؤمن" (رومية ١٠: ٤).

هذا الفصل الجديد يؤثر بشكل عميق على حياتنا الروحية وطريقة خدمتنا لله، حتى في عطايانا للكنائس المحلية والمنظمات التبشيرية. إنها نعمة بالكامل!

هو كتاب تأسيسي في موضوع النعمة، **"رؤية شاملة عن نعمة الله"** كتاب مصمم لإعداد نفس المؤمن بتوقع عظيم تجاه كتب أخرى عن النعمة، مثل:

بولس: كأس النعمة

يوسف: عمود النعمة

الملك داود وأسلوب حياته في النعمة

المقدمة

كلما نما المؤمن في حياته الروحية وفهم النعمة التي يمنحها الله له، تصبح حياته «أطيب من العسل». أرني مؤمنًا يفهم النعمة ويطبقها، وسأريك مؤمنًا تمتلك حياته طعمًا حلوًا... مؤمنًا يفهم الله ويتمتع بهدوء نفسي عميق.
معرفة نعمة الله تجاهنا تجعلنا نسترخي وتقودنا إلى مكان من التواضع نعتمد فيه على قوة الله بدلًا من قوتنا الخاصة. النعمة تجعلنا ندرك بشدة أننا نعتمد كليًا عليه.

أيها الإخوة المؤمنون بالرب يسوع المسيح، نأمل أن يشجعكم هذا العرض العام لنعمة الله على التمسك بعناد بتعاليم الكتاب المقدس السليمة، ويجعلكم تعطي الأولوية القصوى لتعلم كلمة الله التي ستجعلكم تفكرون بمنظور إلهي. تعليم الكتاب المقدس هو المرساة التي توفر هدوء النفس، والرضا في الحياة، والسعادة الحقيقية الآن وإلى الأبد.
لا عجب أن المزمور تحدى قائلًا:
"ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب..." (المزمور ٣٤: ٨أ).
"كم هي حلوة كلماتك لي! نعم، أحلى من العسل لفمي!" (المزمور ١١٩: ١٠٣).

يمكننا الوصول إلى موارد سعادة الله الغنية ومحبته بالاستماع والتأمل في كلمته يوميًا، كما يعلمنا راعٍ-معلم متمرس. كل المحاولات الأخرى للوصول إلى الروحية تقود إلى بؤس ذاتي!

كلمة «نعمة» يجب أن تكون لحنًا لآذان المؤمن، لكن القليل جدًا منهم يعرف معناها.
أما القليل الذي يعرفون، ففرحهم عظيم. فعلًا، من الناحية اللاهوتية، النعمة هي أصعب تعاليم الكتاب المقدس، لكنها أساس كل ما نحن عليه في هذه الحياة أو سنكون عليه في الأبدية.
هي أساس خلاصنا، وكفارتنا، ورضا الله، وتبريرنا، وتجديدنا، ومصالحتنا، وتقديسنا، وفدائنا، واعتناقنا عائلة الله الملكية.
النعمة هي صورة مرآة الله وانعكاس لعمل يده.
النعمة مثل النظر في وجه الله.

فهم داود الواضح للنعمة

تجلّى فهم داود الواضح للنعمة في صلاته في العهد القديم:

"مبارك أنت، يا رب إله إسرائيل، أبونا، إلى الأبد وإلى الدهر"
لك، يا رب، العظمة والقوة والمجد والانتصار والهيبة،
فكل ما في السماوات والأرض هو لك.
لك السيادة، يا رب، وأنت ترفع نفسك رأسًا على الجميع.
الثروة والعزة تأتيان منك، وأنت تملك كل شيء،
وفي يدك القوة والعزة، وتستطيع أن تجعل عظيمًا وتقوي الجميع.
لذلك، إلهنا، نشكرك ونسبح اسمك المجيد.
فمن أنا ومن شعبي حتى نستطيع أن نقدم بسخاء هكذا؟
لأن كل شيء يأتي منك، ومن يدك قد أعطيناك.
فإنا غرباء أمامك، ومستأجرون كما كان آباؤنا جميعًا؛
أيامنا على الأرض مثل الظل، ولا رجاء فيها.
يا رب إلهنا، كل هذه الثروة التي أعددناها لبناء بيت لاسمك القدوس، هي من يدك، وكلها لك
وأنا أعلم، يا إلهي، أنك تمتحن القلوب وترضي بالاستقامة،
فببراءة قلبي قدمت طواعية كل هذه الأمور؛
وقد فرحت الآن أني رأيت شعبك، الحاضر هنا، يقدمون قرابينهم لك برغبة منهم
يا رب إله إبراهيم وإسحاق وإسرائيل، آبائنا،
"احفظ هذا إلى الأبد في نوايا قلوب شعبك، ووجه قلوبهم إليك" (١أخبار الأيام ٢٩: ١٠ب-١٨).

يا له من موقف رائع مفعم بالنعمة!
كان داود يعلم أن أفضل ما لدينا لا يساوي شيئًا في خطة الله.
إذا لم نخفق في عملنا له، نخفق في تفكيرنا.
احتفظ بهذه الفكرة ونحن نستعد للغوص في **"رؤية شاملة عن نعمة الله"**،
الموضوع الذي طالما كان هدفًا للتحريف عبر القرون. نحن لا نقترب من هذه الدراسة وكأننا قد فهمنا النعمة بالكامل وطبقناها،
بل كأشخاص قد منّ الله عليهم بالنعمة ووهبهم شرف نقل هذه النعمة.
كلنا سنظل نتعلم نعمة الله إلى الأبد.

"انظروا إلى طيور السماء،
فإنها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع إلى مخازن،
ومع ذلك يطعمها أبوكم السماوي.
ألستم أنتم أفضل منها؟"
(متى ٦: ٢٦، النسخة الدولية الجديدة)

"أليس يباع عصفوران بفلس واحد؟
ولكن واحدًا منهما لا يسقط على الأرض بدون مشيئة أبيكم.
بل حتى جميع شعور رأسكم محسوبة.
فلا تخافوا، أنتم أفضل من عصافير كثيرة"
(متى ١٠: ٣١، نسخة الملك جيمس)

الفصل الاول

النعمة باتساعها اللامحدود

لقد فشل كثير من المؤمنين في أن يعيشوا بالنعمة لأنهم لم يفهموا عبارة "نِعمة مجانية"، وهي تعني عملًا؛ أو فعلَ لطفٍ يُقدَّم لشخص لا يستحقه. فإذا أُدرِج أي مقدار ضئيل من الاستحقاق في جانب المتلقي، فلن تكون "غير مستحقة" بعد ذلك، بل تصبح مكافأة أو أجرًا! أي أنها تكون مستحقة!

فيما يلي أربع صور توضيحية تساعد على تقديم موضوعنا:

الصورة التوضيحية الأولى:
في المدرسة الثانوية، كان هناك زميل في الصف يعاني من ضعف أكاديمي واضح. من الواضح أنه كان يعاني من نوع من الإعاقة الذهنية. كان يحاول بجد، لكن نتائج اختباراته لم تكن تعكس جهده أبدًا، فقرر في النهاية ترك الدراسة.

وفي عدة مناسبات، تم ضبطه وهو يغش. في إحدى المرات، نسخ إجاباتي في الاختبار دون علمي، وتم اكتشاف أمره. كيف عرفت المعلمة أنه غش؟ لم ينسخ الطالب إجاباتي كلمة بكلمة فحسب، بل زاد على ذلك وأدان نفسه أكثر حين نسخ اسمي أيضًا! وفي مناسبة أخرى، نسخ فقرة كاملة من الكتاب المدرسي، بما فيها العبارة: "... كما درسنا في الفصل السابق ...". أعلم أن هذا سيُضحك بعضكم (وهو بالفعل موقف طريف)، ومع ذلك، فإن الهدف من هذه القصة ليس الفكاهة.

تخيلوا للحظة أن المعلمة تجاهلت هذا الغش الأكاديمي ومنحته درجة نجاح أو حتى أعلى منها. ثم، وبناءً على سجله الأكاديمي، تم قبوله في واحدة من أفضل الجامعات. في هذه الحالة، كان ذلك سيمثّل "نعمة مجانية"!

الصورة التوضيحية الثانية:
أعلنت الحكومة مؤخرًا عن وظيفة براتب ابتدائي قدره ١٥٠,٠٠٠ دولار سنويًا، ويُراد شَغلُها في أقرب وقت ممكن. تقدّمتَ بطلب للوظيفة رغم معرفتك بأنك لا تستوفي الشروط. وخلال مقابلة العمل، تَكتشف أن العديد من المتقدّمين يحملون شهادات دكتوراه متخصصة في نفس المجال، وقد أنهى كلٌّ منهم أكثر من ١٥ عامًا من الخبرة في المجال، وجميعهم حاصلين على المؤهلات الأساسية وهم من الركائز الجوهرية في شروط التأهيل.

وعند مراجعة سيرتك الذاتية، يكتشف من يُجري المقابلة أنك لا تملك حتى شهادة الثانوية العامة، فضلًا عن أي شهادة جامعية، ولا تملك أي خبرة أيضًا! وبينما كان على وشك أن يضحك ويطلب منك المغادرة، يدخل رئيس القسم فجأة ويقول: "امنح هذا الرجل الوظيفة، وتأكد من حصوله على كل التدريب اللازم."

المُحاور، مدركًا أن هذا أمر يجب عليه تنفيذه، يتراجع في مقعده مصدومًا وغير راضٍ. وعلى مضض يقول: كن هنا غدًا صباحًا الساعة التاسعة
الآن، هذه هي النعمة الممنوحة غير مكتسبة لمتقدّم لا يستحق.: **نِعمة مجانية**

الصورة التوضيحية الثالثة:
تخيل أنك مدين لمصلحة الضرائب بمبلغ ١٠٠,٠٠٠ دولار من الضرائب المتأخرة. يتم تقييدك بالأصفاد، واعتقالك، ويُقال لك إنك ستبقى في السجن حتى تسدّد آخر سنت. لقد صادرت مصلحة الضرائب جميع ممتلكاتك، وحسابك البنكي في حالة سحب زائد. لا تملك أي وسيلة للتعويض، وليس لديك أدنى شك في أنك ستقضي نحبك في السجن!

ومع ذلك، في أحد الأيام، يسمع شخص ثري عن معاناتك، ويشعر بتعاطف شديد، فيكتب شيكًا إلى البنك يغطي به كامل المبلغ الذي تدين به لمصلحة الضرائب، بما في ذلك أي رسوم إضافية. ولدهشتك، يدخل السجّان زنزانتك ويخبرك أن القاضي أصدر أمرًا بإطلاق سراحك، وأنك حر! لقد سدّد أحدهم كل ديونك!

هل هناك أدنى شك في أن هذه كانت **نعمة مجانية؟**
هذا هو جوهر النعمة!

الصورة التوضيحية الرابعة:
يسجّل لوقا مثالنا الأخير

"... كان رجل ينزل من أورشليم إلى أريحا، فوقع عليه لصوص، فعروه وجرحوه، ومضوا وتركوه بين حي وميت. فحدث أن كاهنًا نزل في تلك الطريق، فرآه ومر وتجاوزه. وكذلك لاوي أيضًا، إذ صار عند المكان، جاء ونظر وجاز مقابله. ولكن سامريًا، كان مسافرًا، جاء إليه، ولما رآه تحنّن، فتقدّم وضمّد جراحاته، وصبّ عليها زيتًا وخمرًا، ثم أركبه على دابته، وأتى به إلى فندق، واعتنى به. وفي الغد لما مضى، أخرج دينارين وأعطاهما لصاحب الفندق، وقال له: اعتنِ به، ومهما أنفقت فوق هذا، فعند رجوعي أوفيك".
(لوقا ١٠: ٣٥)

كان هذا الرجل العاجز هو موضوع نِعمة غير مستحقة.
ولو لم يتدخّل السامري -الغريب تمامًا عنه- لإنقاذه، لربما مات هناك.

تتّضح من هذه الأمثلة الأربع بعض المبادئ الأساسية.

١ -لا أسلوب الحياة ولا الأعمال الصالحة يُعتَبران شرطًا للحصول على النعمة غير المجانية
فإن أُخذ أيٌّ منهما بالحسبان، ولو بشكل طفيف، فلن تكون النعمة "غير مستحقّة"، بل تصبح مكافأة أو تعويضًا.

٢- الفضل الكامل في النعمة غير المستحقّة يعود إلى المُعطي وحده.

٣- بمجرّد أن يُمنح الفعل المملوء بالنعمة، يصبح غير قابل للإلغاء، فإذا لم يُبذَل جهدٌ لنيل النعمة، فلا يمكن بذل جهدٍ لسحبها أيضًا.

الفصل الثاني
استيعاب النعمة

تُعرّف المعاجم اللغوية للعهد الجديد (القواميس اليونانية) النعمة على النحو التالي:
"عمل لطف يُقدَّم دون توقّع أي مقابل؛ حرية مطلقة في محبة الله وصلاحه تجاه البشر، نابعة فقط من سخاء المعطي وطيب قلبه؛ نعمة مجانية وغير مستحقة".

لقد استخدم الروح القدس كتّاب الوحي لتوصيل معانٍ متنوعة لكلمة "نعمة"، تتراوح ما بين المودّة والرحمة إلى اللطف الذي يمنحه السيّد لعبده وأصبحت الكلمة تُشير إلى لُطف الله تجاه الإنسان الذي لا يستحق.

القضية الجوهرية في تعريفنا للنعمة هي نقاء دوافع المُعطي - المُحسِن
فإن كان لدى المُعطي دافع خفي، كأن يتمنّى شيئًا في المقابل، فإن هذا لا يُعدّ نعمة على الإطلاق.
توقّع المقابل أمر شائع بين البشر، ولكن من التجديف أن نفترض أن الله يتعامل معنا بهذه الطريقة. فمثل هذا التصوّر يُقلّل من جوهر الله الإلهي، ويُحوّله إلى كائن بشري.

وإن قمنا بتشبيه الله بالبشر (ونسبنا إليه طباعًا بشرية)، فإننا نُعرّضه لاحتمالية الفشل أو نكث الوعود. ولو كان الأمر كذلك، لما كان إلهًا بحق لذلك، دعونا نتأمل في بعض صفات الله التي تُميّزه عن الجنس البشري، مع مراعاة ما ورد في إشعياء.

"لأن أفكاري ليست أفكاركم، ولا طرقكم طرقي، يقول الرب. لأنه كما علت السماوات عن الأرض، هكذا علت طرقي عن طرقكم، وأفكاري عن أفكاركم"
(إشعياء ٥٥: ٨-٩)

فَهم الله: مانح النعمة

إعادة التأمل في صفات الله

الله بار

"بار أنتَ يا رب..." (مزمور ١١٩: ١٣٧أ)
لقد كان الله دائمًا بارًا؛ لم يكن هناك وقت لم يكن فيه كذلك
وقد أعلن كاتب المزامير

"العدل والحق قاعدة كرسيك..." (مزمور٨٩: ١٤أ)
كما أن الكتاب المقدس يوضح بجلاء

"وبرّهُ يدوم إلى الأبد..." (مزمور ١١١: ٣).

لذلك، من التجديف أن نظن أن لله دافعًا خفيًا عندما يُحسن إلى إنسان عاجز من الجنس البشري فكلمة "دافع خفي" تعني نفاقًا. وهكذا، فإن الاعتقاد بأن الله يريد شيئًا في المقابل على بركاته، يُعادل وصفه بالمنافق. لكن الله ليس منافقًا؛ الله بار.

الله هو الصدق بعينه.
الله لا يمكنه أن يكذب ولن يكذب أبدًا.
فلو كذب الله مرة واحدة فقط، لتحطّمت أمانته بالكامل، وهي قائمة على بره وعدله، حتى مجرد التفكير في ذلك يُعدّ تجديفًا ويُحطم رجاءنا الأبدي فيه، ولأصبح بإمكان إبليس وجميع ملائكته الساقطين أن ينجوا من بحيرة النار. في الواقع، يجب أن يشعر كل مؤمن بعزاء عظيم بمعرفته أن لا شيء في السماء أو على الأرض يمكن أن يُحرّك الله إلى الكذب.

"لَيْسَ اللهُ إِنْسَانًا فَيَكْذِبَ، وَلاَ ابْنَ إِنْسَانٍ فَيَنْدَمَ" (العدد ٢٣: ١٩).

الكذب وتغيير الرأي أمران مرتبطان بالجنس البشري، وليس بالله. الله لا يقول شيئًا ويقصد غيره.

الله لا يتغيّر (الثبات)

عدم التغيّر يعني أن الله لا يمكن أن يتغيّر. جميع صفاته في انسجام تام، بما في ذلك ثباته. لا محبته، ولا عدله، ولا برّه، ولا أي صفة أخرى فيه يمكن أن تتغير أبدًا الله ثابت بشكل مطلق.

إن التفكير بأن سلوك الإنسان السيئ قد يدفع الله لتغيير إحدى صفاته أو سياساته هو قمة الغرور البشر. أو ما هو أسوأ، افتراض دنيوي دنّس وكذلك، من الخطأ الاعتقاد بأن السلوك الحسن يمكن أن يستجلب بركات النعمة.

"لأني أنا الرب لا أتغيّر؛ لذلك أنتم يا بني يعقوب لم تفنوا" (ملاخي ٣: ٦).

لقد فشل بنو يعقوب (اليهود) في حفظ العهد مع الله مرارًا وتكرارًا، ولكن بسبب ثبات الله، لم يتعرّضوا للفناء الكامل. الله لم يفشلهم قط. ومن منظور بشري، كانت إخفاقاتهم عظيمة جدًا لدرجة أنهم كانوا يستحقون الإبادة الكاملة لكن، ولحسن حظ إسرائيل، فإن وجهة نظر الله تفوق دائمًا وجهة نظر الإنسان وثبات الله يضمن أنه يُتمّم وعوده دائمًا.

عدم فهم جوهر الله وصفاته جعل ملايين المؤمنين يُحاولون "أنسنته"، وبهذا يسخرون من أنفسهم ومن الله. يهتفون "هللويا!" ويصفقون بأيديهم ويقفزون ... ويظنون أن الله يقفز معهم وعندما يبكون، يتخيلون أن الله يبكي معهم. ويفترض الناس أنهم قادرون على التأثير في الله بواسطة مشاعرهم أو تصرفاتهم العابرة. لكن محبة أبينا السماوي لا تتذبذب كما تتذبذب محبة البشر.

فرح الله ورضاه لا يعتمدان، ولا يمكن أن يعتمدا، على
مزاجنا، أو إخلاصنا، أو أعمالنا، لأن محبته ثابتة (١يوحنا ٤: ٨)

فهو يحبنا بنفس الدرجة سواء فشلنا أم نجحنا.
القول بأن الله يُغيّر محبته لنا بحسب سلوكنا هو **أنسنة لله.**
نحن بحاجة إلى أن نكون آمنين في محبته الثابتة، لكننا أيضًا بحاجة إلى أن نظهر الاحترام اللائق لإله قدوس ومهيب.

فكّر فقط: كم مرة تفشل انت الله في يوم، في أسبوع، في شهر، أو في سنة؟
وكم مرة تتوقف انت لتُسمّي تلك الإخفاقات وتعترف بها بحسب ١يوحنا ١: ٩؟

وببساطة، لا يمكن لأي جانب من جوهر أبينا السماوي أن يتغير بسبب فشل أو نجاح بشري.
ولحُسن الحظ، فإن ثباته (عدم تغيّره) يحرس بقية صفاته:
الحياة الأبدية، العدل، السيادة، المحبة، الحضور المطلق، العلم المطلق، والقدرة المطلقة.

وفي ضوء ذلك، سجّل النبي ملاخي كلمات الله:

"أنا الرب لا أتغيّر" (ملاخي ٣: ٦أ).

وأكد كاتب رسالة العبرانيين قائلًا:

"أمّا أنت [أيها الآب] فثابت إلى الأبد، وسنوك لن تنتهي" (عبرانيين ١: ١٢ب).

وعن الابن، يقول:

"يسوع المسيح هو هو أمسًا واليوم وإلى الأبد" (عبرانيين ١٣: ٨).

ومن المنطقي أن نستنتج: بما أن الله يقول إن خلاصنا هو نتيجة نعمته (أفسس ٢: ٨)، فهو يعني ذلك تمامًا، ولا شيء غير ذلك!

الله لا يمر بتقلّبات مزاجية.
إن الفشل في فهم أن الله ليس إنسانًا، وأنه لا يباركنا بناءً على أعمال الجسد أو ما نقدّمه له، هو ما جعل العديد من المؤمنين يرفضون المعرفة الصحيحة عن الله وخطته.

ويجد هؤلاء صعوبة كبيرة في تصديق أن الله يستمدّ سروره مما يفعله هو للإنسان، وليس مما يفعله الإنسان له،
وفهم هذا المفهوم يُعتبَر عقبة رئيسية يجب تخطّيها لكي يُواصل المؤمن نموّه الروحي.

يعيش ملايين المؤمنين تحت المفهوم الخاطئ القائل بأن الله سيباركهم بناءً على ما يفعلونه له، أو ما يتخلّون عنه من أجله.
وهذا من الأسباب التي تجذب الكثيرين إلى ما يُسمّى "النشاط المسيحي".

فهم يظنون أنهم يستطيعون مساعدة الله في جعل عالم إبليس مكانًا أفضل.
أو الأسوأ، أنهم يريدون تسريع التغيير في عالم إبليس لأنهم يعتقدون أن الله يتحرّك ببطء شديد بحسب أذواقهم.

مثال: قد يشارك المؤمنون في النشاطات الاجتماعية من خلال الانخراط في أحد المعسكرين المعسكر المؤيد للحياة. (pro-life) أو المعسكر المؤيد للاختيار (pro-choice)
ونعرف حالات لأشخاص من هؤلاء المؤمنين كانوا متحمسين جدًا لوجهة نظرهم لدرجة أنهم برّروا خرقهم للقانون.

وقد حذّر الله:

"لتخضع كل نفس للسُّلطات الفائقة، لأنه ليس سلطان إلا من الله، والسلاطين الكائنة هي مرتبة من الله، حتى إن من يقاوم السلطان يقاوم ترتيب الله، والمقاومون سيأخذون لأنفسهم دينونة" (رومية ١٣: ١-٢).

ومع ذلك، فإن كثيرًا من هؤلاء المؤمنين غير المُطّلعين أو المتمركزين حول ذواتهم يستنتجون أنه إذا كان القانون غير أخلاقي، فإنهم مبررون في "مساعدة" إله أخلاقي من خلال انتهاك أي قانون تقريبًا من قوانين دولتهم.

نسمع تقارير عن حرق وتفجير عيادات الإجهاض، وتدمير ممتلكات الآخرين باسم خدمة الله.
مثل هذا السلوك يُعد انتهاكًا لحق الملكية الخاصة - وهي من شرائع الله.

نسمع تقارير عن القتل، وسلب الأرواح بحجّة إنقاذ الأرواح، باسم خدمة الله.
وهذا السلوك ينتهك قدسية الحياة البشرية - وهي من شرائع الله.

نسمع عن رعاة كنائس، يبدو أنهم يجهلون كلمة الله، يُخبرون شعبهم: "كلما أعطيت أكثر أو شاركت أكثر، باركك الرب أكثر".
ومثل هذا السلوك ليس فقط مضلِّلًا، بل تجديف أيضًا.

في الواقع، العكس هو الصحيح؛ الله سيُعاقبهم.

هؤلاء المؤمنون نسوا أنهم ملح الارض، وأن لهم امتيازًا وفرصة متساويين للنمو في حياتهم الروحية وتحقيق وصايا الله.
لكن الكبرياء يجعل "النشاط الديني" أكثر جاذبية من مجرد التقدّم في الحياة الروحية، وبهذا يُفتنون بأفكارهم الخاطئة.

عدالة الله تُعاقب كل من يعتمد على قوته البشرية، أو من يرفع قيمة أعماله فوق كلمة الله
وإذا كانت القوانين غير أخلاقية، فإن المؤمنين الذين فشلوا في حياتهم الروحية لا يلومون إلا أنفسهم، لأن الأمة بأكملها تُعاقب بسبب فشلهم.

تأمل في قصة عُزَّة:

"فجمع داود كل إسرائيل... لإصعاد تابوت الله من قرية يعاريم
ونقلوا تابوت الله من بيت أبيناداب على عجلة جديدة، وكان عُزّة وأخيو يقودانها.
وعندما وصلوا إلى بيدر كيدون، مدّ عُزّة يده ليمسك التابوت، لأن الثيران انزلقت.

فاحْتَمَى غضب الرب على عُزّة، وضربه لأنه مدّ يده إلى التابوت، فمات هناك أمام الله".
(أخبار الأيام الأول ١٣: ٥، ٧، ٩-١٠ - ترجمة الحياة/الإنجيل الجديد).

قُتل عُزَّة بينما كان يحاول مساعدة الله.
لأن تابوت العهد كان مقدسًا، ظنَّ عُزَّة أن من الأهم أن يحمي التابوت من السقوط بدلًا من طاعة وصية الله التي تنهى عن لمسه. لقد تغلّبت عاطفة اللحظة على كلمة الله العقلانية، لكن ذلك كلّفه حياته.
لقد أمر الله بني إسرائيل بأن لا يلمس أحد المقدسات في خيمة الاجتماع، بما في ذلك تابوت العهد، تحت طائلة الموت (سفر العدد ٤: ١٥).

اليوم، يشبه كثير من المؤمنين عُزَّة. إنهم يقدّرون أفعالهم أو مشاعرهم أكثر من تقديرهم لكلمة الله. وبفعلهم هذا، ينتهكون أوامر الله، ويعرّضون أنفسهم لأقصى درجات التأديب الإلهي من محكمة عدله الأبدي.
كمؤمنين بالرب يسوع المسيح، يجب أن نكون حذرين في كيفية خدمتنا لله. يجب أن نُعلي كلمته فوق كل ما يمكننا فعله.
وإلّا فسنكون على موعد مع صدام مباشر مع عدالة الله وما يترتب عليه من عقاب.
النشاط البشري خارج ارادة الله والعمل الذاتي لم يكونا يومًا جزءًا من خطة الله في أي فترة من فترات التاريخ، بما في ذلك "عصر الكنيسة" الذي نعيش فيه الآن.
مثل هذه الأفعال ستجلب الدينونة، وقد قالت الكتابات المقدسة:
"مُخيفٌ هو الوقوع بين يدي الله الحي" (عبرانيين ١٠: ٣١).

معنى النعمة / الإحسان الإلهي:

الآن بعد أن تأكدنا تمامًا من أنه من المستحيل أن يكذب الله، أو يغيّر رأيه، أو ينقض وعوده، دعونا نضع تعريف النعمة تحت المجهر:

"إحسان يُمنح دون توقّع مقابل؛ عطاء حرّ نابع من محبة الله ولطفه، دافعه الوحيد هو سخاء القلب وحرية العاطفة لدى المُعطي؛ فضل غير مكتسب وغير مستحق"

فلنتمعن في هذا التعريف. لا يوجد مثال أفضل على العبارة الأولى:
"إحسان يُمنح دون توقّع مقابل..."
من الرب نفسه:

عندما كان [يسوع المسيح] داخلًا إحدى القرى، استقبله عشرة رجال مصابين بالبرص.
وقفوا على بُعد (لأنهم كانوا مُصابين وغير طاهرين)، ونادوه بصوت عالٍ:
"يا يسوع، يا معلم، ارحمنا!"
فلما رآهم، قال لهم:

"ذهبوا وأروا أنفسكم للكهنة".
وفيما هم في طريقهم، تطهّروا. [لاحظوا هنا فعل النعمة - فضل غير مستحق].
ولما رأى أحدهم أنه قد شُفي، عاد وهو يمجّد الله بصوت عالٍ، وسقط عند قدمي يسوع شاكرًا إياه وكان سامريًا.
فقال يسوع:
"ألم يُطهَّر العشرة؟ فأين التسعة؟ ألم يوجد من رجع ليُمجّد الله سوى هذا الغريب" (لوقا ١٧: ١٢-١٨). لا يُذكر في أي موضع أن المسيح أعاد إليهم البرص، ولا ينبغي أن يُفترض ذلك فلو أنه تسبب بانتكاسة، لما كان ما فعله لهم عملًا من الرحمة والنعمة، بل وكأنَّه كان ينتظر منهم "شكرًا" مقابلًا لما قدمه.
لكن الحقيقة أن موقفهم لم يكن سببًا في منحهم النعمة من البداية، كما أن عدم امتنانهم لم يكن سببًا لسحب النعمة منهم.
وسنتعلّم لاحقًا عن صاحب النعمة بينما نبدأ بدراسة أول مَن نالوا هذه النعمة: أبوانا الأولان.

البشرية: متلقِّية النعمة

<u>الإنسان: مؤهَّل (مرشح) للخلاص</u>

آدم وحواء أصبحا مؤهَّلين للخلاص في اللحظة التي عصيا فيها الله.
ففي تلك اللحظة، ماتا روحيًا، ونحن نرث منهما هذا الموت الروحي.
هل كنت تعلم أننا جميعًا نولد أمواتًا روحيًا، ولا يمكننا فعل شيء لتغيير ذلك؟
الرسول بولس قال ذلك بهذا الشكل:

"من أجل ذلك، كما أنَّه بإنسان واحد [آدم] دخلت الخطية إلى العالم، وبالخطية الموت، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس، إذ أخطأ الجميع..." (رومية ٥: ١٢).

لقد أصبح آدم وحواء على الجانب الآخر من حاجز يفصل بينهما وبين الله - مرشحين لنعمة الله المخلِّصة.

ما الذي يمكن أن يفعله جثمان هامد لتحسين وضعه؟ لا شيء!
وهل يختلف الأمر مع الموتى روحيًا؟ قطعًا لا!
فماذا يمكن لله أن يفعل مع ميت روحيًا؟ أو بصورة أدق:
ما الذي يمكن لميت روحيًا، عدوٌّ لله، أن يفعله في علاقته مع الله؟
يقول الكتاب:

"وأنتم كنتم في ما مضى بعيدين عن الله، وأعداء له في عقولكم بسبب سلوككم الشرير" (كولوسي ١: ٢١).

في عالم البشر، لا يوجد بين الأعداء سوى العداوة وإمكانية نشوب الحرب.
فهل ترى طياري طائرات معادية، يتواجهون في ساحة المعركة، يبتسمون ويلوحون لبعضهم؟
قطعًا لا! إنهم يسعون بكل طاقتهم لتدمير بعضهم البعض.

وبالمثل، بما أننا كنا أعداء لله، كان من المتوقع أن يكون هدفه هو إفناء الجنس البشري بالكامل، كما يقول الكتاب:

"إذ الجميع قد أخطأوا وأعوزهم مجد الله" (رومية ٣: ٢٣).
[أي: جميعهم أصبحوا أعداء لله بسبب الخطية]

ومع ذلك، اختار الله أن يتعامل معنا بطريقة مختلفة:
بالنعمة المجانية - الفضل غير المستحق. الله هو مُعطي الخلاص للإنسان:

يقول الكتاب

"لأنه بينما كنا بعد ضعفاء [أموات روحيًا] ، مات المسيح في الوقت المناسب لأجل الفجار" (رومية ٥: ٦ - ترجمة الحياة)

ويتابع:

"ولكن الله بيّن محبته لنا، لأنه ونحن بعد خطاة، مات المسيح لأجلنا" (رومية ٥: ٨).

لقد قدّم الله حلّ الخلاص للبشرية كلها، عندما حمّل كل خطايا العالم للمسيح على الصليب، ودان كل واحدة منها بعدله الكامل.

لكن كانت هناك مشكلة:
كنا جميعًا أمواتًا روحيًا، غير قادرين على فهم هذه الرسالة.

كما يقول الكتاب:

"الإنسان الطبيعي [الميت روحيًا] لا يقبل ما لروح الله، لأنه عنده جهالة، ولا يقدر أن يعرفه، لأنه إنما يُحكَم فيه روحيًا" (١كورنثوس ٢: ١٤أ).

هنا جاء دور الروح القدس بحلّ مثالي:
توفير فهم مؤقت وموضّح لما فعله الله الثالوث -الآب والابن والروح القدس- من أجلنا
ولكنه لا يتجاوز توضيح قضية الخلاص، لأن تجاوز ذلك سيكون تدخّلًا في حرية إرادة الإنسان.

هل استحقّ الإنسان هذا الحل المثالي؟
الإجابة القاطعة: كلا!

فالله وفّر للإنسان ما لا يستطيع هو أن يفعله لنفسه، ورفع ذلك الحاجز الذي لا يمكن عبوره أمام كل من يؤمن بعمل المسيح على الصليب. هذا هو تجلّي النعمة الإلهية.

لماذا يهتم الله بنا أصلًا؟

لماذا لم يتركنا نهلك ونُلقى في بحيرة النار إلى الأبد؟
فهو بالتأكيد لا يحتاج إلينا ليحافظ على مجده الأبدي، ولا يحتاجنا كي يظل سعيدًا.

لقد طرح كاتب سفر أيوب هذا السؤال:

"هل يُفيد الإنسان الله؟ أو هل يُفيد الحكيم نفسه؟" (أيوب ٢٢: ٢).

ويسأل الله بنفسه:

"من له عليّ حق فأوفيه؟ كل ما تحت السماء هو لي" (أيوب ٤١: ١١ - ترجمة الحياة).

ببساطة:

الله لا يستفيد منا، نحن الذين نستفيد منه.

وقد عبّر داود الملك عن دهشته من نعمة الله وسؤاله العميق:

"من هو الإنسان حتى تذكره؟ وابن آدم حتى تفتقده؟" (مزمور ٨: ٤).

فالسؤال يعود مرة أخرى: لماذا اختار الله أن يخلّصنا -نحن الفاسدين تمامًا وغير المستحقين مطلقًا- بدلًا من أن يتركنا نهلك؟

الكتاب المقدس يجيب بوضوح:

"ولكن الله، وهو غني في الرحمة، من أجل محبته الكثيرة التي أحبنا بها، ونحن أموات بالخطايا، أحيانا مع المسيح—بالنعمة أنتم مخلَّصون" (أفسس ٢: ٤-٥).

هو يُحِبُّنا ويرحَمنا

بالنسبة للرحمة، فقد قام معظم الناس في وقتٍ ما، بفعل عمل رحمة تجاه شخص محتاج. فكّر في الأمر: إذا كان إنسان عادي، يمتلك طبيعة الخطية القديمة، قادرًا على أن يُظهر الرحمة دون أن يتوقع شيئًا في المقابل، فكم بالحري الله -منبع الرحمة- قادر على ذلك!
هو يمنح الرحمة من خلال توفير الخلاص للذين يؤمنون بالمسيح دون أي شرط -الإيمان وحده بالمسيح وحده- دون توقع أي مقابل. فبعد كل شيء، ماذا يمكن أن يفعل شخص ميت روحيًا وعاجزًا ليستحق هبة الحياة الأبدية؟

أما بخصوص محبته، فسواء كان الذين نالوا نعمته شاكرين أم لا، فإن محبته ثابتة لا تتغير ولا تنقص ولا تسترجع شيئًا (رومية ١١: ٢٩)!
يرحب بشكرنا وامتناننا، لكنه لا يمكن التلاعب به من خلاله. عدم امتناننا لا يزعجه؛ واستجابتنا الإيجابية لا تجعله أكثر سعادة.

جهود الإنسان ليست جزءًا من النعمة

حاول العديد من المعلمين الكذبة إضافة الأعمال إلى النعمة المخلِّصة، مما أدى إلى خطأ جسيم.
وأكثر ما يثير القلق هو أن عددًا كبيرًا من هؤلاء المعلمين هم علماء لاهوت.
يتجاهلون مبدأ التفسير المعروف بـ"النقل الكلي غير المشروع للمعنى"، وهو محاولة لإضفاء معنى على كلمة لا يمكن أن يكون كذلك في سياقها.

فعلى سبيل المثال، عندما يقترح أحد أن الجهد البشري (الأعمال)، مثل المعمودية أو "جعْل المسيح ربًا"، هو شرط للخلاص، يكون ذلك في مواجهة مباشرة مع رومية ١١: ٦

"إن كان بالنعمة، فلا يكون من الأعمال، وإلا فلا تكون النعمة نعمة".

علاوة على ذلك، فإن من يقول إن النعمة تعني إنتاج ثمر صالح، فإنه يلوّث كلمة الله.
الكتاب المقدس يبيّن أن النعمة تعني شيئًا واحدًا فقط: الفضل غير المستحق،: وهذا كل شيء.

عدم التمييز بين النعمة والأعمال، وبين الولادة الروحية والنمو الروحي، قد شوّه معنى النعمة بالكامل.
كما لا يُنكر أحد شهادة ميلاد أو جنسية لمولود بسبب نقص نموه البدني، كذلك نقص النمو الروحي لا يغير من وضع مواطنتنا في السماء.

هل يعني هذا أننا لا يجب أن نسعى للنمو الروحي؟ قطعًا لا!
أنا أشكر الله لأنه بسبب نعمته التي لا تضاهى، يمكن لأي مؤمن أن يحرز تقدّمًا روحيًا يوميًا.
تقدير نعمة الله لا يغير الهدف المتمثل في تمجيد الله، بل يمنحنا راحة بال لنعلم أن الخلاص، والنمو الروحي، والتمجيد الناتج عن ذلك، كلها مسائل تُنجز بفضل الله وحده.

هل تعتقد أن السبب الذي يجعل الله يخلص الذين يؤمنون بالمسيح هو لكي يعبدوه؟

هذا صحيح، لكن هل تعلم أنه لا يمكن لأحد أن يعبد أو يخدم أو يمجد الله بدون خدمة الروح القدس؟
ولا ننسى أيضًا ملء الروح القدس الذي ننالُه عندما نستعيد علاقتنا معه ببساطة بالاعتراف بخطايانا لله.

"إن اعترفنا بخطايانا، فهو أمين وعادل، حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم" (يوحنا ١١: ٩).

"لأنه هو يعمل فيكم أنتم أيضًا، سواءً الإرادة أو العمل، من أجل مرضاته" (فيلبي ٢: ١٣).

مشيئة الله أن نمجده

إنها مشيئة الله أن نمجده، وقد زوّدنا بالأدوات الروحية اللازمة لتحقيق ذلك **بالنعمة**.
لم نفعل شيئًا لنستحق هذه الأدوات. بل أكثر من ذلك، منحنا حرية الإرادة لنختار استخدامها أو تجاهلها!

والشكر لله، فإن نعمته لا تتوقف عند الخلاص فقط، بل تستمر بعده.
فهو الذي وهبنا الحياة الجسدية عند الولادة، والخلاص من خلال المسيح، وحرية اختيار كيف نعيش حياتنا الروحية بعد الخلاص، ووسائل تحقيق هذه الحياة عبر الروح القدس.

جهودنا لا تُحسب، سواء قبل الخلاص أو بعده.
النعمة هي الوسيلة الوحيدة التي تسد الهوة بين خطة الله الكاملة والإنسان الناقص.

إن عمل الله الإلهي يجب أن يبقى كاملًا، ولو أن جزءًا واحدًا منه اعتمد علينا، لفقد كماله.
نقع في الخطأ حين نظن أن الله لا يستطيع أن يستغني عنا، أو أن جهودنا ومساهماتنا يمكن أن تؤثر في قراراته.
هذا التفكير الخاطئ يقود كثيرين -نتيجة تمحورهم حول ذواتهم- إلى الاحتفاظ بقائمة ذهنية بما "قدموه لله".
ويظن بعضهم أنهم مهمّون لدرجة أن كنيسة أو مؤسسة مسيحية لا يمكنها أن تستمر بدونهم.

هذا النوع من الكبرياء هو نوع من سوء التغذية الروحية، وغالبًا ما يكون نتيجته المحزنة أن هؤلاء المؤمنين لا يفهمون النعمة مطلقًا.

محبة الله التي لا تفشل

الحرية المطلقة لإحسان الله ومحبتِه للبشر

العبارة الثانية من تعريفنا للنعمة هي:

"الحرية المطلقة لإحسان الله ومحبته للبشر"

الكلمة العبرية المستخدمة لـ"الإحسان والمحبة" في العهد القديم هي:

"حِسِد" وعندما تُستخدم عن الله، فإنها تدل على لطفه ورحمته تجاه الإنسان.

ويعرّف القاموس اللغوي للعهد القديم هذه الكلمة بأنها:

"موقف المحبة الذي يتضمن الرحمة".

ومن المعاني الأخرى: المحبة، الإحسان، الرأفة، النعمة، المودة، والرحمة التي لا تزول.

في الترجمة السبعينية (القرن الثالث ق.م)، ترجم اليهود الكلمة العبرية إلى اليونانية بمعنى: "رحمة" أو "رأفة"، وكانت النعمة دائمًا حاضرة في هذا المفهوم، منطلقة من استقامة الله ونزاهته.

فبدون الاستقامة، لا يمكن أن توجد المحبة أو الرحمة.
وإذا فشلت الاستقامة، تفشل المحبة.
لكن استقامة الله لا تفشل أبدًا، وبالتالي فإن محبته لا تفشل أبدًا.

في هذا الإطار، دعونا نتأمل في الكلمة التي تصف محبة الله الكاملة:

في العهد الجديد، الكلمة اليونانية التي تُلخّص محبة الله التي لا تفشل هي: "أغابي"

أسمى أنواع المحبة على الإطلاق.

ليست فقط محبة الله، بل هي جوهَر كيانه، كما يقول يوحنا:

"الله محبة" (١يوحنا ٤: ٨)

عندما تُستخدم "أغابي" عن الله، فهي تشير إلى جزء من طبيعته الجوهرية، محبة مرتبطة باستقامته. وهي محبة ثابتة، ليست مدفوعة بالعاطفة البشرية المتقلّبة. المحبة البشرية تتأرجح بين الحب والبغض تبعًا للظروف، مثل بندول الساعة، لكنها لا تشبه محبة الله.
لأن الله لا يتغيّر، فمحبته لا يمكن أن تزيد أو تنقص.

سواء فشل المؤمن أو نجح في حياته الروحية، فإن محبة الله تبقى ثابتة لا تتغيّر،

٢٤ ساعة في اليوم، ٧ أيام في الأسبوع، ٣٦٥ يومًا في السنة.

إنها محبة لا تتغير ولا تنتهي!

<u>عزاء رائع للمؤمن:</u>

أليس من المريح أن نعلم أنه مهما بلغت إخفاقاتنا،
فإن الله لا يفشل أبدًا، ولا يتوقف عن محبتنا؟

وفي المقابل، مهما بلغ نجاحنا،
فإن الله لا يحبنا أكثر.
بل نحن نرتاح ببساطة تحت جناحي محبته الأبدية

كما يقول (مزمور ٩١: ٤)

"بريشِهِ يظلّلك، وتحت جناحيه تحتمي. أمانته ترس ومِجَنّ"

وقال الله:

"محبة أبدية أحببتك، من أجل ذلك أدمت لك الرحمة" (إرميا ٣١: ٣).

كلمة "أبدية" هنا تُترجم عن العبرية: بلا نهاية، مدى الحياة، إلى الأبد" עוֹלָם" (أُولام)، ومعناها ببساطة: الله يحبنا دائمًا، مهما حدث.

ويقول أيضًا:

"وإن تزعزعت الجبال، وزالت التلال، فمحبتي لا تزول عنك" (إشعياء ٥٤: ١٠).

ويُعلن الكاتب في مزمور ٨٩:

"رحمتك إلى الأبد أُغني" (مزمور ٨٩: ٢).

وهكذا، علينا أن نتذكّر دائمًا أن التأديب والبركة من الرب -كلاهما- يُعطيان لنا **من محبته**.
فنحن نثق بعدل "المحكمة العليا في السماء"، كما يُكتب في العبرانيين:

"لأن الذي يحبّه الرب يؤدّبه، ويجلد كل ابنٍ يقبله" (عبرانيين ١٢: ٦).

فإذا كانت المحبة لا تفشل، فلن يفشل شيءٌ من مكوناتها - بما في ذلك: النعمة.

<u>مبادئ عن محبة الله التي لا تفشل - لا يجب أن ننساها أبدًا:</u>

١- الله حرّ في أن يُظهر محبته التي لا تفشل لنا، لأن ذلك ينبع من نعمته (رومية ١١: ٦)

٢- الله غير متغيّر، لذلك فإن محبته لنا لا يمكن أن تتغير (ملاخي ٣: ٦)

٣- محبة الله أبدية لأنه أزلي، لذلك محبته لنا أبدية (تثنية ٣٣: ٢٧)

٤- يجب أن نستثني كل جهد بشري (أيوب ٢٢: ٢)

٥- محبة الله موجودة سواء وُجد موضوعٌ تُمنح له أو لم يوجد، وهي لا يمكن أن تفشل (١كورنثوس ١٣: ٨)

أبونا السماوي يستمدّ سروره من نزاهته الذاتية، وليس من استجابة البشر لها.
لذلك، يجب أن نفهم أن أعمال الإنسان منفصلة تمامًا عن النعمة.

لا أحد يستطيع أن يُقدِّم معروفًا لله!
لقد أدرك الرسول بولس هذا المبدأ العظيم من خلال خدمة الروح القدس.
سعى بولس بكل قوته إلى فصل النعمة عن أي نوع من الأعمال، ولذلك كتب:

"فإن كان بالنعمة، فلا يكون بعد بالأعمال، وإلا فليست النعمة بعد نعمة" (رومية ١١: ٦).

النعمة والأعمال يتنافيان، أي لا يمكن الجمع بينهما. كما أن الليل والنهار لا يجتمعان، لا يمكن لهما أن يشغلا الحيّز نفسه في الوقت نفسه.

الذين فهموا تعليم بولس وتأثروا به وضعوا الأساس لإحدى أروع الفترات في تاريخ البشرية عصر الأباطرة الأنطونيين.

لا تزال تعاليم بولس عن النعمة محفوظة حتى اليوم في صفحات رسائله.
ومع ذلك، يبدو أن قلة قليلة من الناس (بمن فيهم اللاهوتيون، ودارسو الكتاب، والرعاة، والمبشرون)
يفهمون التمييز بين النعمة والأعمال بأكثر من مستوى سطحي.

لدينا فقط أمثلة قليلة لأشخاص فهموا حقًا كلمة الله وساروا في خطته بدقة، في الكتاب المقدس بأكمله،

وقد ترك هؤلاء أثرًا غير مرئي في التاريخ.

واليوم، لديك الفرصة ذاتها، مثل أي مؤمن آخر، بل حتى مثل أبطال العهد القديم لترفض كل أشكال الناموسية (الشرائع والطقوس الجوفاء)، وتُتقن مبادئ النعمة.

نجاحك، ونجاح أمتنا، يعتمدان على قيامك بذلك، بقوة الروح القدس.

الدافع الوحيد للمحبّة: جود الله وسخاؤه

"تستمدّ المحبة دافعها الوحيد من جود العاطي وسخاء قلبه" أي من **الله** نفسه. إنها نعمة الله للإنسان.

الله لا يباركك لأنك تعطي؛ فلو كان الأمر كذلك، لسقط مبدأ النعمة، لأن النعمة لا تُشترى، ولا يفعل الله شيئًا من أجلنا لأننا فعلنا شيئًا من أجله.
بعبارة أخرى: لا يوجد مقايضات مع الله.

لكن، عندما يستخدم المؤمن ما وفّرته له نعمة الله - أي، تعليم الكتاب المقدس وقوة الروح القدس ليتقدّم في خطة الله ويطوّر طاقته الروحية، حينها يزيد الله بركاته لذلك الفرد.

نعم، من الصحيح أن الله يُبارك أو يُكثّر بذار المعطي الكريم،
ولكن لا يوجد مؤمن معطٍ كريم ما لم تكن في قلبه شُكر وامتنان صادق (٢كورنثوس ٩: ٦–١٢).
ولا يمكن لأي مؤمن أن يطوّر هذا الامتنان في قلبه بدون تغذية مستمرة بتعليم الكتاب المقدس وتطبيقه.

أما من يُعطي بدافع خفيّ، أملًا في أن يردّ الله له الجميل، فهذا ليس عطاءً حقيقيًا على الإطلاق.

الله يفعل الأمور من أجلنا فقط بناءً على نزاهته واستقامته ومن بين تلك الامور: الخلاص، وهو أحد أعظم تعابير نعمته.

كما يقول الكتاب بوضوح:

"إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله" (رومية ٣: ٢٣)

ونعلم أن برّ الله لا يمكن أن يتسامح مع الخطيئة. فبسبب موت الإنسان الروحي، انفصل عن الله.
لكن إذا كان الله لا يتسامح مع الخطيئة في الإنسان،
فماذا يعني الكتاب حين يقول: "لأنه هكذا أحب الله العالم" (يوحنا ٣: ١٦)

هل هذا يعني أن الله يحب الخطيئة؟
قطعًا لا!

هذا المقطع يُظهر مبدأ مهمًا: الله لا يتغيّر، وكذلك محبته لا تتغيّر
سواء كان موضوع المحبة صالحًا أو فاسدًا، لا فرق. – فمحبة الله لا تتأثر بذلك

تشبيه معبّر:

تخيّل فتاة صغيرة يتيمة، عمرها أربع سنوات، بلا مأوى، ملقاة بجانب الطريق، مغطّاة جزئيًا بالثلج، بالكاد تتنفّس. ضربات قلبها تبطؤ بسبب البرد، وخلال نصف ساعة ستفارق الحياة

فجأة، تراها. تتوقّف، تلتقطها بذراعيك، وتركض بها إلى المستشفى.

ما أول فكرة خطرت في بالك عندما رأيتها؟

هل أردت أن تعرف أصلها؟
هل سألت عن سُمعة والديها؟
هل فكّرت إن كانت ستنشأ فتاة "صالحة" في المستقبل؟

غالبًا لا. ما حرّكك كان فقط الرغبة في إنقاذها.

هذا هو مثال نعمة الله:
لم يُحبنا لأننا نستحق، ولا أنقذنا لأننا صالحون، بل لأن محبته لا تعتمد علينا، بل على شخصه الكامل.

"فإن كنتم وأنتم أشرار، تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا جيدة

[كما في مثال إنقاذ الفتاة اليتيمة]، فكم بالحري الآب الذي من السماء يعطي...؟" (لوقا ١١: ١٣)

المعنى هنا هو: إذا كان الإنسان الخاطئ قادرًا أن يفعل أمورًا مشرفة تجاه الآخرين، فكم بالحري الإله الممتلئ نعمة – ألا يتفوّق على أفضل ما يمكن للإنسان أن يقدمه؟

لقد أظهرتَ محبة صادقة، في إنقاذك لتلك الطفلة العاجزة، وحين علمت بأنها يتيمة، قرّرت أن تُقدِّم أكثر من مجرد إنقاذ. قمت بإعداد غرفة لها في منزلك، وبينما كانت لا تزال في المستشفى، بدأت بشراء ملابس وحاجيات استعدادًا لوصولها.

وهنا أريد أن أتوقّف لأسألك سؤالًا:

بينما كنت تفعل كل ذلك، هل خطر ببالك أن هذه الطفلة ستردّ لك الجميل يومًا ما؟
أو أنها قد تعولك في شيخوختك؟
على الأرجح لا. كنت تفكّر في خيرها، لا في مكسبك. كان دافعك الوحيد نابعًا من سخاءك وطيب قلبك. وحتى إن كبرت تلك الفتاة، وعاشت معك حتى بلغت، ثم رحلت من حياتك دون أن تعود لزيارتك، أو حتى أن تشكرك، فهل كنت ستغيّر قرارك لو علمت ذلك مُسبقًا؟

بالطبع لا. قد تحزن على عدم امتنانها، لكن تصرفاتها -أو تجاهلها- لا يمكن أن تُلغي ما قد فعلته

من خير فإن كنت أنت، كإنسان، هو المُنقذ في هذا التصوّر، فكم بالحري خالقك؟ الله الممتلئ رحمة، ومحبة لا تفشل، ونعمة لا نظير لها.

هل يمكن لله أن يسترجع ما فعله ابنه لأجلنا على الصليب بسبب لا مبالاتنا أو خطايانا؟ حاشا! ألف مرة لا،

أهم ما يجب أن تتذكره:

أن الإنسان يجد سرورًا خاصًا في إظهار الرحمة لشخص عاجز

والنعمة، بمفهومها الحقيقي، لا تتوقّع أي مقابل

ومن هنا، نعود لتعريفنا للنعمة:

"هي معروفٌ يُقدَّم بدون توقّع أي ردّ، وبحريّة مطلقة نابعة من محبة الله التي لا تفشل، تستمدّ دافعها الوحيد من سخاء العاطي وطيب قلبه. إنها عطاء غير مستحق ولا مكتسب".

وهذا يقودنا إلى العبارة الأخيرة في تعريف النعمة:

نعمة الإنسان غير المكتسبة وغير المستحقة

تأخذنا هذه العبارة الأخيرة من تعريفنا للنعمة إلى جوهر موضوعنا، وهو ما لم نستطع إلا أن نلمح إليه مرارًا طوال ،طرحنا حتى الآن. هذه العبارة تؤكد أن متلقي النعمة ليس لديه أي استحقاق؛ ولذلك، مثل الطفلة اليتيمة العاجزة في مثالنا الأول، لا يملك شيئًا يفتخر به.

خذ مثلًا مأمور السجن الذي يتلقى رسالة من الحاكم بالعفو عن مجرم في يوم إعدامه. لقد أُلغي الإعدام بفعل رحمة الحاكم، وليس بسبب أي استحقاق للمجرم. من الواضح أن هذا يُعدّ "نعمة غير مكتسبة وغير مستحقة"

وبالمثل، ارتكب الملك داود، كمؤمن بالرب يسوع المسيح، جريمة شنيعة. بدأت بخطيئة الزنا، ثم تصاعدت إلى جريمة قتل. وإليك ما حدث:

"وكان في وقت المساء أن داود قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك، فرأى من على السطح امرأة تستحم، وكانت المرأة جميلة المنظر جدًا. فأرسل داود وسأل عن المرأة، وأُخبر بأنها بثشبع... فأرسل داود رسلًا وأخذها، فدخلت إليه فاضطجع معها... فحبلت المرأة، وأرسلت وأخبرت داود وقالت: إني حبلى" (صموئيل الثاني ١١: ٢، ٤-٥).

عندما علم داود بحمل بثشبع، حاول أن يغطي على تورطه. فكر في استدعاء زوجها من ساحة المعركة في إجازة، على أمل أن يبدو كأنه الأب الحقيقي للطفل. يا له من نفاق! لقد وقع داود في شبكة معقدة من الخداع. لكن أوريا، زوج بثشبع، رفض دخول بيته لأنه كان ذلك مخالفًا لشرفه العسكري.

قال أوريا لداود:

"إن التابوت وإسرائيل ويهوذا ساكنون في الخيام، وسيدي يوآب وعبيد سيدي نازلون في وجه الحرب، وأنا آتي إلى بيتي لآكل وأشرب وأضطجع مع امرأتي؟! حيٌّ أنت وحيةٌ هي نفسك لا أفعل هذا الأمر" (صموئيل الثاني ١١: ١١).

كضابط في جيش داود، فهم أوريا أن مسؤوليته الأولى هي نحو المعركة. وبعد أن استنفد داود جميع الوسائل، بما في ذلك محاولة جعله سكرانًا ليعود إلى منزله، دبّر خطة لقتل أوريا في المعركة. ثم تزوج بثشبع!

المذهل أن داود نفسه كان أحد أعظم المؤمنين في العهد القديم – "رجل بحسب قلب [الله]" (أعمال ١٣: ٢٢). وتذكر أن الرب يسوع المسيح، في ناسوته، كان من نسل داود وبثشبع: دلالة على أن الله يتعامل مع الخطاة جميعًا بالنعمة.

غالبًا ما يُصدم المؤمنون عندما يرتكب أحدهم خطيئة فاضحة. بل قد يجادل البعض أنهم لم يكونوا "مخلصين حقًا" من البداية. باستثناء خطيئة عدم الإيمان بالرب يسوع كمخلص شخصي، تأكد أن المؤمن يمكن أن يرتكب كل أنواع الخطايا التي قد يرتكبها غير المؤمن. بالطبع، لدى المؤمن قيود من الروح القدس، لكن عندما يتجاهلها، فمن المؤكد أنه سيقع في فضيحة أكبر مما يقع فيها غير المؤمن.

هل تميل إلى أن تسأل: "كيف يمكن لمؤمن أن يرتكب أفعالًا غير أخلاقية مثل الزنا والقتل؟" إن كان الأمر كذلك، فأعِر اهتمامًا شديدًا لهذا المبدأ الجوهري. ستكتشف أن الله لا يترك مجالًا للتبرر الذاتي بين المؤمنين. فجميعنا نخطئ بشكل أو بآخر. تذكر أننا لا نتعامل مع خطايا بعينها، بل نحاول استخلاص مبادئ من أفعال داود غير الأخلاقية. ووفقًا للشريعة اليهودية، فإن ما فعله داود كان يستوجب عقوبة الإعدام:

"إن ضربه بآلة من حديد فمات، فهو قاتل، ويُقتل القاتل لا محالة" (العدد ٣٥: ١٦)

وبناءً عليه، أدانته محكمة السماء العليا كمجرم، وأرسل الله النبي ناثان ليواجهه:

"لماذا احتقرتَ كلام الرب لتعمل الشر في عينيه؟ قد قتلتَ أوريا الحثي بالسيف، وأخذتَ امرأته لتكون لك امرأة، وإياه قتلت بسيف بني عمون" (صموئيل الثاني ١٢: ٩).

وفقًا لهذه الإدانة، فإن ما استحقه داود هو الموت! ولكن، عندما اعترف بخطاياه لله الآب، نال نعمة – وهي عطية لم يستحقها ولم يكسبها. ونتيجة لذلك، أُعفي من حكم الموت:

"هكذا قال الرب: هأنذا أُقيم عليك شرًا من بيتك... فقال داود لناثان: قد أخطأت إلى الرب. فقال ناثان لداود: الرب أيضًا قد نقل عنك خطيتك، لا تموت" (صموئيل الثاني ١٢: ١١، ١٣)

تمامًا كما فعل الحاكم في مثالنا عندما منح العفو لرجل حُكم عليه بالإعدام.

ومن هنا نعود مجددًا إلى تعريفنا للنعمة:
"فضل يُمنح دون توقّع مقابل؛ حرية مطلقة في إظهار المحبة والرحمة (أو المحبة الثابتة) من

الله تجاه البشر، ويكمن دافعها الوحيد في كرم المُعطي وانفتاح قلبه؛ فضل غير مكتسب وغير مستحق"

وفيما يلي بعض المبادئ الأساسية التي ينبغي أن تُرسّخ في أذهاننا حتى الآن في رحلتنا العقائدية:

١- الله الآب، والله الابن، والله الروح القدس مكتفون بأنفسهم، ولا يعتمدون على أحد لسعادتهم أو كمالهم؛ بل لم يوجد وقت قط لم يكونوا فيه مكتفين بذواتهم.

٢- اللاهوت (الثالوث الإلهي) وُجد منذ الأزل، قبل أن يُخلق أي شيء — لا كون، ولا ملائكة، ولا بشر، وبسبب عدم تغيّره، فإن سعادة الله لا تزيد ولا تنقص.

٣- إن سوء فهم هذه الحقيقة هو السبب الرئيس الذي يجعل كثيرًا من المؤمنين يرتكبون أعمالًا غير كتابية باسم الله. إنهم يُضفون الصفات البشرية على الله في تفكيرهم. يظن هؤلاء المؤمنون أنه إذا انشغلوا بعمل "أمور من أجل الله"، فإنهم سيجعلونه أكثر سعادة، وربما ينالون بركاته. لكن لا شيء أبعد عن الحقيقة من هذا الاعتقاد.
سعادة كل أقنوم من الثالوث الإلهي مكتفية بذاتها؛ لم يشعر الآب، ولا الابن، ولا الروح القدس بالحزن قط، ولم يُغيِّر أي مخلوق هذه السعادة.
قال الملك داود:

"تُعَرِّفُني سبل الحياة. أمامك شِبَعُ سرور، في يمينك نِعَمٌ إلى الأبد" (مزمور ١٦: ١١)

٤- لذلك، لا يمكننا أن نزيد أو ننقص من سعادة الله الكاملة

فمنتهى الغرور البشري أن نظن أن أعمالنا الصالحة قادرة على التأثير في سعادة الله أو فرحه. هذا الافتراض ليس مجرد إساءة لله الذي أعلن: "أنا الرب لا أتغير" (ملاخي ٣: ٦)، بل هو تجديف..

٥- يظلّ المؤمنون غير كاملين حتى بعد الخلاص. فالطبيعة الخاطئة التي وُلدنا بها تبقى في أجسادنا بعد الخلاص، وهي مصدر الأعمال البشرية "الصالحة" والإغراء بالخطيئة.
وعندما نُهمل حياتنا الروحية، نختار الخضوع لتلك الإغراءات ونرتكب الخطايا. وككائنات ناقصة، يرى الله أعمالنا الصالحة —ما لم تكن بقيادة الروح القدس— على أنها غير كافية.

٦- وعليه، عندما خلّصنا الله بنعمته، كان يعلم أننا سنظلّ غير كاملين، وعاجزين عن حفظ أنفسنا في النقاء. وبدلًا من رفضنا، أبقى على سياسة النعمة في معاملته لنا، نحن الذين لا نستحق.

قبل أن نتابع، أود أن أذكّرك بأن هدف هذا الدرس العقائدي هو أن نفتح أعين المؤمنين على نعمة الله، حتى يفهموا ويقدّروا النعمة التي منحهم الله إياها، ومن ثمّ يخدموه بخشوع ومهابة.
إن فهم العديد من العقائد الكتابية الأخرى يعتمد على فهم واضح لعقيدة النعمة فالكثير من البدع

مثل "الخلاص بالأعمال" أو "خلاص خضوع السيد" (**Lordship Salvation**) وغيرها، تم قبولها لأن المؤمنين رفضوا الحق، وخاصة عقيدة النعمة.

ونظرًا لأننا نعيش في زمن يعجّ بالارتباك العقائدي، فإن هدفنا هو مقاومة الهرطقات بواسطة حق كلمة الله المعصومة.

لقد تناولنا العبارات التالية بالتفصيل:
"فضل يُمنح دون توقّع مقابل؛ حرية مطلقة في إظهار المحبة الثابتة من الله تجاه البشر، بدافع واحد فقط هو كرم وعطاء المُعطي؛ فضل غير مكتسب وغير مستحق".

ورأينا أن النعمة خالية تمامًا من الأهداف الخفية، والتركيز فيها دائمًا على المُعطي لا على المتلقي.
لاحظنا أن الله لا يستفيد منا، بل نحن الذين نستفيد منه. لقد وُجد الله منذ الأزل، أما الإنسان فهو مخلوق من صنعه. سعادته الكاملة لم تتغير قط — لا زيادة ولا نقصان — بسبب الظروف أو أفعالنا. خلق الله الإنسان لسروره، وما يُسرّ الله هو ما يصنعه هو لأجل الإنسان، وليس ما يصنعه الإنسان لأجله. وهذه نقطة صعبة القبول لدى كثير من المؤمنين الذين يجدون صعوبة في الاعتراف بأن الله لا يحتاج إلى مساعدتهم، ولا إلى مساعدة أي أحد. عدم الفهم لهذه الحقيقة هو السبب الجوهري لانخراط كثير من المؤمنين في أنشطة "خدمة مسيحية" ظاهرها روحي، ولكنها في حقيقتها مجرّد نشاط بشري. وما يُرعب حقًا هو أن كثيرًا من **القادة الدينيين** هم من يشجّعون هذا النوع من "النشاطية الروحية".
ولنكرر: الله لم يحتج إلى مساعدتنا قط — ولن يحتاج

صرّح الرسول بولس بتأثير بالغ:

"لأن الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا من أجل مسرّته" (فيلبي ٢: ١٣).

إن الطريقة الوحيدة التي يستطيع الله أن يعمل بها في حياة المؤمن هي من خلال قوة الروح القدس المُمَكِّنة وتعليم الكتاب المقدس. بدون هذين الموردين الإلهيين، نحن لا شيء.

الذين يمتلكون هذين الموردين لا ينخرطون في نشاطات دينية ظاهرية، ولا يرشون الله بما يُسمّى "بذور المال"، ولا بأي عمل نابع من طاقة الجسد، وبالأخص تلك المحاولات التي تهدف الي ابهار الله.

فكيف لغير الكامل أن يُبهر الكامل؟
وأعمال الإنسان الناقص **دائمًا** ما تنتج عنها نتائج ناقصة!

الله كامل، وعمله كامل؛ ولذلك، فهو وحده من يقوم بكل العمل الذي يُرضيه!

قد ترغب أن تتأمل هذا الفكر جيدًا قبل أن تتابع القراءة.

الفصل الثالث
نعمة الله المُعلَنة

إظهار الله لنعمتِه في الخليقة

لاستكمال دراستنا، ينبغي أن نتأمل في نعمة الله كما تجلّت في أعماله الخلّاقة.
الخليقة هي عمل الله في الإتيان بالسماء والأرض وكل أشكال الحياة إلى الوجود.
وفي كلٍّ من العهدين القديم والجديد، تُصوَّر الخليقة على أنها معتمدة بالكامل على الخالق.

يسجل حزقيال خلق الملائكة، بينما يسجل موسى في الأصحاحين ١ و٢ من سفر التكوين خلق الإنسان وجميع الكائنات الحية.
وفيما يتعلّق بكمال الخليقة الإلهية، كتب موسى:

"ورأى الله كل ما عمله، فإذا هو حسن جدًا [كامل]" (تكوين ١: ٣١).

الخالق كان الرب يسوع المسيح، الأقنوم الثاني في الثالوث الإلهي:

"الذي هو صورة الله غير المنظور، بكر كل خليقة. فإنه فيه [المسيح] خُلقت كل الأشياء: ما في السماوات وما على الأرض، ما يُرى وما لا يُرى، سواء كان عروشًا أم سيادات أم رياسات أم سلاطين. (كولوسي ١: ١٥-١٧).

الكل به وله قد خُلق. الذي هو قبل كل شيء، وفيه يقوم الكل.

ويخبرنا الرسول يوحنا أيضًا:

"كل شيء به كان، وبغيره لم يكن شيء مما كان" (يوحنا ١: ٣).

في خلق الملائكة

قرر الله الآب، بالتشاور مع الابن والروح القدس، خلق الملائكة قبل خلق الكون (مزمور ١٤٨: ٢-٥).
وكانت أسباب الخلق تشمل:

مسرة الله (رؤيا ٤: ١١)، ومجده (إشعياء ٤٣: ٧)، وفرحه (إشعياء ٦٥: ١٨).

الله كامل، وأعماله تعكس دومًا كماله؛ لذا، فقد خُلق جميع الملائكة في حالة كمال، وقد زُوِّدوا بالقدرة على التفكير واتخاذ القرار.
حتى الشيطان نفسه وُصف بأنه أجمل الملائكة:

"كنتَ كاملًا في طرقك من يوم خُلقت... ارتفع قلبك بسبب جمالك" (حزقيال ٢٨: ١٥، ١٧)

تركّز دراستنا هنا على خلق الملائكة، لا على تمرد الشيطان ولا على ثلث الملائكة الذين تبعوه. مع ذلك، لاحِظ أن الشيطان وُصف بـ"نجم الصباح [المضيء]" عندما طُرد من السماء في منتصف الضيقة العظيمة (إشعياء ١٤: ١٢).

جماله وكمال رتبته مذكوران بوضوح في (حزقيال ٢٨: ١٢-١٥)

وخلاصة القول، أن لاهوت المسيح نفّذ خطة الآب، وجاء بالملائكة إلى الوجود كمخلوقات كاملة. وكان أجملهم وأحكمهم هو الشيطان، الذي غالبًا ما يُصوَّر خطأ على أنه مخلوق قبيح ومشوّه لكن على الرغم من عبقريته، فإن غروره الأعمى جعله يظن أنه يستطيع أن يصير مثل الله. يا له من غباء مغلّف بالجمال!

في الطيور والحيوانات

قال الله: "لتفض المياه زحّافات ذات نفس حية، وليطر طير فوق الأرض على وجه جلد السماء" (تكوين١: ٢٠)

ثم قالك: "لتُخرج الأرض ذوات أنفس حية كجنسها: بهائم ودبابات ووحوش أرض كأجناسها. وكان كذلك" (تكوين ١: ٢٤)

تأمّل للحظة عناية الله بالطيور:

لذلك أقول لكم: "لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون أو بما تشربون، ولا لأجسادكم بما تلبسون. أليست الحياة أفضل من الطعام، والجسد أفضل من اللباس؟ انظروا إلى طيور السماء، فإنها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع إلى مخازن، وأبوكم السماوي يقوتها. ألستم أنتم أفضل منها بكثير؟" (متى ٦: ٢٥-٢٦)

الله يُظهر نعمته في خليقته

قال الرب يسوع:

"أليست عصفوران يُباعان بفلس؟ ومع ذلك لا يسقط واحد منهما إلى الأرض إلا بإرادة أبيكم" (متى ١٠: ٢٩).

إن عناية الله بخليقته من خلال نعمته، هي مسألة اختيار إلهي حر .فقد وضع الله تصميمًا فريدًا للطيور والحيوانات يضمن لها جميع وسائل البقاء

خلق الإنسان: آدم

حتى الآن، تعلمنا في دراستنا أن آدم وحواء كانا مرشحين للخلاص في اللحظة التي اختارا فيها عصيان الله.

لكن قبل أن نتوسع في ذلك، تأمل:
هل كان في وسع الإنسان -الذي لم يكن له وجود أصلًا قبل الخلق- أن يفعل أي شيء ليكسب أو يستحق عطاء الله؟
سنرى كيف حاول الإنسان، مخلوق الله، في البداية أن يبتكر حلًا خاصًا به.

كان آدم هو الإنسان الوحيد الذي خلقه الله مباشرة، وكانت نعمة خالصة عندما قال الله:

"... لنصنع [بالعبرية عَسَه: أي صُنِع بحسب نموذج] –الإنسان على صورتنا كشبهنا، ويتسلط على سمك البحر، وعلى طير السماء، وعلى البهائم، وعلى كل الأرض، وعلى جميع الدبابات التي تدب على الأرض" (تكوين ١: ٢٦)

ثم: وجبل الرب الإله [بالعبرية: يَصَر: أي صُنع من مادة موجودة] الإنسان ترابًا من الأرض (تكوين ٢: ٧أ).

كان جسد آدم خاليًا من العيوب، ولا يحمل طبيعة الخطية لأنه لم يكن له أب بشري، ولم يحمل أيضًا أي أمراض وراثية؛ لم يكن خلقه عشوائيًا. ومع ذلك، كان جسد آدم الكامل بلا حياة، ولم يكن الله قد أكمل خلقه بعد.

"ونفخ [الرب] في انفه نسمة حياة [بالعبرية*نشمة* حَييم, أي شرارة من حياته هو]، فصار الإنسان نفسًا حية [بالعبرية: نِفِش حَيّاه, أي نفس تمتلك حياة]" (تكوين ٢: ٧ب). نسمة الله، مصدر كل حياة بشرية، أعطت جسد آدم روحًا ونفسًا، تشمل الوعي الذاتي، والفكر، والضمير، والإرادة (أيوب ٣٣: ٤).
هذه الهبة المتزامنة للحياة البيولوجية والنفسية شكّلت اكتمال خلق الإنسان. لكن الله لم ينتهِ بعد

أتى الرب بكل طائر ووحش إلى آدم:

"... ليرى ماذا يدعوه. وكل ما دعاه آدم من نفس حية، فهو اسمها" (تكوين ٢: ١٩).

كانت الحيوانات والطيور تملك قرناء، أما آدم فكان وحده. لكن الله لم يُنهِ بعد.

مِن ماذا صُنع جسد الإنسان؟

الكلمات التي تصف مادة تشكيل الجسد البشري لها أهمية خاصة:

"عفر" (עָפָר) تُترجم إلى: "تراب، طين، رماد، أو فتات"- الكلمة العبرية

"أدَماه" (אֲדָמָה) تعني "أرض" أو "تربة"- والكلمة

لذا فإن جسد الإنسان مكوَّن من العناصر الكيميائية للأرض النقية.

يمكننا أن نصوغ (تكوين ٢: ٧) هكذا بتفسير موسع:

فجبل الرب الإله -يسوع المسيح- الإنسان من العناصر الكيميائية للأرض، ونفخ في أنفه شرارة من حياته، فصار الإنسان كائنًا بشريًا حيًا"

رغم أن جسد آدم مكوّن من نفس العناصر التي تكوّنت منها كل المخلوقات، إلا أن آدم كان فريدًا من نوعه.

داود الملك يتأمل في عظمة هذا الخلق

رنّم داود في (مزمور ٨: ٣-٨) قائلًا:

"إذا أرى سماواتك، عمل أصابعك، القمر والنجوم التي كوّنتها،
فمن هو الإنسان حتى تذكره؟ وابن آدم حتى تفتقده؟
وأنقصته قليلًا عن الملائكة، وبمجد وبهاء توّجته!
تسلطه على أعمال يديك، جعلت كل شيء تحت قدميه:
الغنم والبقر جميعًا، وبهائم البر أيضًا،
وطيور السماء، وسمك البحر، السالك في سبل المياه".

العودة إلى التراب

في حين أن نفس آدم الممنوحة من الله خالدة، إلا أن جسده عاد إلى تراب الأرض عند موته (تكوين ٣: ١٩).
يخبرنا قاموس اللغة العبرية للعهد القديم أن عبارة "تراب ورماد "هي تعبير مجازي يدل على ضعف الإنسان وحقارته.

وقد استخدمها أيوب في مرارة، عندما ظن أن الله قد تركه:

"قد ألقاني في الوحل، فشبّهتُ بالتراب والرماد" (أيوب ٣٠: ١٩).

أما إبراهيم فقال بتواضع:

"... أنا تراب ورماد" (تكوين ١٨: ٢٧).

كان إبراهيم يدرك أن ذلك ليس حرفيًا، بل استخدم هذا التعبير ليُظهِر اتضاعه أمام الله، مؤكدًا أنه لا يملك أي سلطة أو حق للمساومة مع الله من أجل إنقاذ سدوم.

تذكّر أن الله قال لآدم:

"أنت تراب، وإلى التراب تعود"

سواء فُهمت حرفيًا أو مجازيًا، فإن كل مؤمن بالرب يسوع المسيح لا يستطيع أن يدرك تمامًا مدى افتقاره لله ومواهبه العجيبة، فهو ما يزال بعيدًا عن النضج في الحياة الروحية.

إيشاه (Ishah) المرأة:

قال الرب الإله:

"ليس جيدًا أن يكون آدم وحده، فأصنع له معينًا نظيره."

فأوقع الرب الإله سباتًا عميقًا على الإنسان، فنام — [أول عملية تخدير].

وأخذ واحدة من أضلاعه، وأغلق مكانها لحمًا — [أول عملية جراحية].

بنى [بالعبرية أي شكّل بعناية]

الرب الإله الضلع التي أخذها من الإنسان امرأة، وأحضرها إلى الإنسان"

(تكوين ٢: ١٨، ٢١-٢٢).

كانت هذه المرأة الوحيدة التي خلقها الله بشكل كامل، وكانت تتمتع بكل صفات زوجها الكامل، الذي سمّاها. وقد وضعهما الله في بيئة مثالية.

نعمة الله في جنة عدن

لم يكن على آدم وحواء مواجهة أمطار، أو عواصف أو حرارة خانقة أو برد قارس؛
كان الطقس مثاليًا، ولا وجود لحيوانات مفترسة، ولا ما يُخشى منه،
ولا جدالات، ولا دموع — بل انسجام نفسي تام.

كان لديهما القدرة على الاستمتاع بالحياة، والحب، والفرح، واللهو. — فرح كامل
وقد توفرت لهما كل أنواع الطعام (تكوين ٢: ١٦). — مائدة مثالية
ولا تنسَ: لم تكن هناك طبيعة خاطئة

لكن الأعظم من كل هذا:
كان يسوع المسيح يأتي كل يوم ليُعلّمهما كلمة الله (تكوين ٣: ٨)
واو! عن أي "مجموعة من النعم" نتحدث!

نقص واحد: الحياة الأبدية

كان هناك شيء واحد فقط ينقص آدم والمرأة، وهو الحياة الأبدية.
كائنات كاملة كهؤلاء كان يمكن أن تعيش إلى الأبد — يومًا بيوم.

لكننا لا نستطيع أن نقدّر نعمة الله في الخلق البشري ما لم نفهم غرضه من الخلق

هل تتذكر أننا ذكرنا سابقًا تمرّدًا ملائكيًا ما قبل التاريخ، قاده الشيطان؟
لقد حكم الله على الملائكة الساقطة بالعذاب الأبدي في بحيرة النار، لكن الشيطان اعترض على هذا الحكم وادّعى أن الله غير عادل.

ولهذا، خلق الله الإنسان مزوّدًا بنفس حرية الاختيار التي وُهِبت للملائكة قبل تمرّدهم ـــ من أجل حلّ القضية.

كان الإنسان حرًا أن يختار الله، أو يرفضه، تمامًا كالملائكة.

الاختبار: حرية الإرادة

صمّم الله اختبارًا بسيطًا لآدم والمرأة:

"من جميع شجر الجنة تأكل أكلًا. وأما شجرة معرفة الخير والشر، فلا تأكل منها، لأنك يوم تأكل منها، موتًا تموت"

(تكوين ٢: ١٦-١٧)

الفشل في هذا الاختبار الوحيد سيؤدي إلى: موت روحي (انفصال عن الله)، وموت جسدي لاحق. ومع ذلك، رغم وجوب هذا الاختبار، قدّم الله لهما كل شجرة أخرى في الجنة للغذاء بل قال لهما: "أُعطيكم كل عشب أخضر طعامًا" (تكوين ١: ٢٩-٣٠).

وكانت النباتات أيضًا غذاء جميع الحيوانات حتى ما بعد الطوفان، عندما أصبح اللحم جزءًا من غذاء الإنسان في أيام نوح (تكوين ٩: ١-٣).

نستطيع أن نرنم مع داود قائلين:

"أحمدك لأنك قد صنعتني على نحو مدهش رائع. عجيبة هي أعمالك، ونفسي تعرف ذلك يقينًا"

(مزمور ١٣٩: ١٤).

نعمة الله بعد السقوط

شرحنا في كتابنا **عقيدة الخلاص بحسب الكتاب المقدس**، كيف خدع الشيطان المرأة (تكوين ٣: ١)، وكيف اختار كل من آدم والمرأة عصيان الله حين أكلا من الثمرة المحرّمة (تكوين ٣: ٦). كان كل منهما مسؤولًا عن قراره.

وكانت النتيجة: موت روحي فوري (انفصال تام عن الله)، وبداية عملية الموت الجسدي.

لكن الخبر السار هو أن الإنسان، بعد أن فقد كماله، أصبح مؤهّلًا لنوال الخلاص بالنعمة.

أول "عمل صالح" في التاريخ؟

أصبح آدم والمرأة مدركَين لعُريهما بعد السقوط، وحاولا حل مشكلتهما بأنفسهما بصنع ملابس من أوراق التين (تكوين ٣: ٧).
كان هذا أول "عمل صالح" في تاريخ البشرية ـــ أي محاولة الإنسان لحل مشكلاته بمعزل عن نعمة الله.

لكن الحقيقة هي:

الله لا يُعجَب بالأعمال البشرية ـــ لا حينها، ولا الآن، ولا أبدًا!

فهو يرفض كل محاولات الإنسان، مهما بدت رائعة أو معقّدة.
وهنا نؤكد نقطة أساسية:

النعمة تعني: أن الله هو من يقوم بكل العمل، والإنسان يتلقى ثمار هذا العمل الإلهي!

وأفضل ما يمكن أن تقدّمه أعمال الإنسان هو غطاء خارجي سطحي، لا يمسّ المشكلة الحقيقية.

كيف تعامل الله مع الفشل البشري؟

في تكوين ٣: ٨ نقرأ:

"وسمعا صوت الرب الإله [يسوع المسيح في هيئة ظهور – الظهور الوحيد من الثالوث] ماشيًا في الجنة عند هبوب ريح النهار..."

وأول ما فعله الله؟
اقترب إلى الإنسان الساقط، الضائع، العاجز، والمحتاج إلى مخلّص
إن موقف الله حينها لا يزال موقفه اليوم:

"لأن ابن الإنسان قد جاء ليطلب ويخلّص ما قد هلك"

(لوقا ١٩: ١٠).

رد فعل آدم والمرأة؟

"فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله بين أشجار الجنة" (تكوين ٣: ٨ب).

لا شك أنهما تعلّما مبادئ كثيرة من دروس الكتاب المقدس اليومية مع الرب، وكان من المفترض أن يُدرِكا:

"إلى أين أذهب من روحك؟ ومن وجهك إلى أين أهرب؟ إن صعدت إلى السموات فأنت هناك، وإن فرشت في الهاوية فها أنت" (مزمور ١٣٩: ٧-٨)

وقال الرب أيضًا:

"أَيَخْتَبِئُ إِنْسَانٌ فِي مَخَابِئَ حَتَّى لاَ أَرَاهُ أَنَا؟ أَلَسْتُ أَمْلأُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ؟"

(إرميا ٢٣: ٢٤)

لأول مرة، كان لدى آدم والمرأة سبب لتجنّب التواصل مع خالقهما،
لكن الله لم يكن لديه أي سبب لتجنّبهما.
النعمة دائمًا تجد طريقًا!
"فَنَادَى الرَّبُّ الإِلَهُ آدَمَ: أَيْنَ أَنْتَ؟" (تكوين ٣: ٩).

أو بتعبير أدق:
"لماذا أنت حيث أنت؟"

لم يكن الله العليم بكل شيء مصدومًا ولا متفاجئًا، ولم يكن بحاجة إلى البحث عن مكان اختبائهما. بل كان يعلم تمامًا أين هما، ولماذا!

لقد كان يعلم، منذ بلايين السنين، كل ما هو قابل للمعرفة. كان يعلم اليوم، بل والثانية الدقيقة التي ستسقط فيها المرأة في خدعة الشيطان، ويعلم أن خطيئة آدم المعروفة (عن وعي) ستتبعها وقد سبق أن أعدّ تدبيرًا بالنعمة لكليهما، تمامًا كما فعل لنا. لا شيء في حياة مخلوقات الله يخفى عنه

رنّم داود قائلًا:

"لم تختفِ عنك عظامي حين صُنعت في الخفاء، ورُقّمت في أعماق الأرض؛ رأَت عيناك جِنينِي، وفي كتابك كُتبت كل أيامي، يومًا فيومًا، إذ لم يكن منها شيءٌ بعد".
(مزمور ١٣٩: ١٥-١٦)

وقال الرب لإرميا:

"قَبْلَ أَنْ أُصَوِّرَكَ فِي الْبَطْنِ عَرَفْتُكَ" (إرميا ١: ٥)

أي قبل وجود الرحم ذاته عرفه: منذ زمن بعيد في الأزل

الله لا يدهش من فشلنا، مهما بدا ضخمًا لنا.

مواجهة الفشل

قال آدم مبرّرًا:

"خِفْتُ لأني عُرْيَانٌ، فاختبأت" (تكوين ٣: ١٠).

لكن، هل العري سبب للخوف؟ هل تخاف وأنت تستحم؟ بالطبع لا

لكن العري كان يعني شيئًا أعمق بكثير لآدم والمرأة. كان شيئًا جديدًا كليًا بالنسبة لهما — وهو نتيجة مباشرة للخطية. قبل السقوط، كانت النعمة تكسوهما بالكمال، أما الآن، فقد وجدا نفسيهما وجهًا لوجه أمام حقيقة فشلهما.

بدأت تغزو نفسيهما -خطايا في العقل لم تكن ممكنة قبل السقوط- الخوف والذنب الموت الروحي هو حالة من الارتباك والضياع.

ومنذ متى يحتاج الزوج والزوجة إلى الاختباء من بعضهما البعض بسبب عريهما؟

سأل الرب:

"من أعلمك أنك عريان؟" (تكوين ٣: ١١أ)

ثم وجّه السؤال مباشرة إلى جذر المشكلة:

"هل أكلتَ من الشجرة التي أوصيتك أن لا تأكل منها؟" (تكوين ٣: ١١ب)

بالطبع، كان الله يعلم الإجابة مسبقًا، بل كان يعلم تفاصيلها منذ دهور لا تُحصى في الأزل.

كانت إجابات آدم والمرأة، في آنٍ واحد، غريبة في منطقها، ومتوقعة من حيث الطبيعة البشرية.

قال الرجل [آدم]:

"المرأة التي جعلتها معي، هي أعطتني من الشجرة، فأكلت" (تكوين ٣: ١٢).

رغم أنه اعترف بالفعل الذي ارتكبه، إلا أن آدم لم يُرِد تحمّل المسؤولية. لقد لجأ مباشرة إلى إلقاء اللوم على الآخرين. لاحظ أنه ألقى باللوم على زوجته، رغم أنه كان المسؤول الأول في العلاقة ـــ فهو الذي أوكلت إليه القيادة.

لكن إذا قرأنا كلماته مجددًا بدقة، نلاحظ أنه لم يكتفِ بلومها، بل تجرّأ على لوم خالقه أيضًا!

نعم، لقد حمل الله المسؤولية، الذي أعطاه المرأة كنعمة ومُعين. وكأنّ لسان حاله يقول:

"يا الله، لقد بالغتَ في نعمتك... لو أنك لم تضع هذه المرأة في حياتي، لما حدث هذا."

أما رد المرأة فلم يكن أفضل:

"الحية خدعتني، فأكلت" (تكوين ٣: ١٣ب).

كلاهما ذكر الوقائع بدقة ظاهريًا، لكنهما رفضا تحمّل المسؤولية الشخصية عن القرار الذي اتخذه كلٌّ منهما بحرية. ومنذ تلك اللحظة، لم يتغيّر شيء في الجنس البشري. إن "لعبة اللوم" أصبحت فنًا مُتقنًا، وهي قديمة قِدَم كبرياء الشيطان، عندما أنكر واقعه ورفض مسؤوليته عن سقوطه.

ومع أن الله كان يستطيع أن يفرض عقوبة الموت فورًا (وهي العقوبة العادلة التي سبق أن حذّر منها). الا أنه لم يفعل! بل إن نعمة الله تدخلت فورًا ـــ دون تأخير

فرغم أن محبة الله ثابتة لا تتغيّر (لأنه غير متغيّر في طبيعته)، الا أن برّه الإلهي يتطلّب الإدانة وعدله يُنفّذ الحكم. لماذا!

لأن الدينونة يجب أن تسبق الخلاص. فبهذا فقط، يصبح الإنسان مؤهَّلًا لنعمة الخلاص التي يمنحها الله دون استحقاق. وهكذا، بينما كان ينطق بالحكم، أعلن في نفس اللحظة طريق الفداء:

"وأضع عداوة بينكِ وبين المرأة، وبين نسلكِ ونسلها؛ هو يسحق رأسك، وأنتِ تسحقين عقبه" (تكوين ٣: ١٥)

في هذه الآية المفتاحية المعروفة لاهوتيًا باسم "النبوة الإنجيلية الأولى"

أعلن الله عن خطة الخلاص الأزلية من خلال نسل المرأة، العداوة الطبيعية بين البشر والحيات ترمز للصراع الروحي العظيم صراع الملائكة الساقطين مع الملائكة المختارين.

لكن النتيجة محسومة مسبقًا:
يسوع المسيح الإنسان الكامل، ابن الله سيسحق رأس الشيطان سحقًا نهائيًا وكاملًا،
بينما الشيطان لن يتمكّن سوى من جرح عقبه
إشارة إلى الآلام المؤقتة التي احتملها المسيح على الصليب، والتي لم تمنعه من الانتصار في القيامة. عندما نطق ربنا يسوع على صليب الجلجثة قائلًا: "قد أُكمل" (يوحنا ١٩: ٣٠).

كان مخطط الخلاص للبشرية قد اكتمل بالكامل. في نهاية التاريخ، سيعود المسيح ثانيةً (المجيء الثاني) وسيسود على الأرض لمدة ألف عام. وينتهي التاريخ البشري بمعركةٍ أخيرة، فيها يهزم المسيح إبليس هزيمة جسدية (انتصار تكتيكي) ويطرحه في بحيرة النار إلى الأبد.

كل شخص منذ آدم وحواء، آمن بالمسيح، سيدخل إلى السماء الجديدة والأرض الجديدة ليعيش مع الرب إلى الأبد. هذا الانتصار التكتيكي يُتمّم الانتصار الاستراتيجي الذي تحقق على الصليب. لان:

"الإيمان بالمسيح وحده، هو دائمًا الطريق الوحيد للخلاص!"

(راجع يوحنا ١٤: ٦)

لقد تأثّرت كل الحياة النباتية والحيوانية بسقوط الإنسان، ولُعنت الأرض، وأصبح على آدم أن يتعب ويكدّ ليحصل على قوت يومه أما رحم المرأة، فقد تفعّل، وأصبحت تلد بالأوجاع فالعلاقة التي بدأت كـ"ترويح ومتعة" في جنة عدن، تحوّلت إلى وسيلة للتكاثر البشري. وبعد صدور الحكم الإلهي، أعاد آدم تسمية امرأته، وسمّاها حواء، أي "أم كل حيّ" (تكوين ٣: ٢٠)

وقبل أن يطردهما الرب من الجنة إلى الأبد (تكوين ٣: ٢٣–٢٤)، استبدل أوراق التين (رمز الأعمال البشرية) بـجلود حيوانية (رمز عمل الله الكامل).

الله قدّم الخلاص بشروطه هو، رافضًا أي محاولة بشرية لتغطية الخطية أو التبرير الذاتي فالتين يرمز لـ"الخير الإنساني"، بينما ذبيحة الدم تشير إلى الخير الإلهي الكامل. ان سفك دم حيوان بريء لتوفير لباس جديد لآدم وحواء كان رمزًا (نموذجًا أوليًا) لـ"حمل الله الذي يرفع خطية العالم" (يوحنا ١: ٢٩).

واستمر تقديم الذبائح الدموية حتى لحظة الصليب.

لقد قبِل آدم وحواء الجلد الذي قدّمه لهما الرب (اللاهوت الظاهر في الجسد) نفس الظهور الالهي الذي اعتاد أن يعلّمهما في نسيم المساء. لقد اختارا طريق الله (أي خطة الفداء التي قدمها لهما بالنعمة) ولم يعتمدا على طريقهما الخاص. هذا القرار بالإيمان هو في جوهره الإيمان غير المستحق. أي: الإيمان بالمسيح وحده، دون أي استحقاق بشري وبفضل هذا الإيمان في الرب وثقتهما في نعمته، كما يُولد المؤمن في العهد الجديد ولادة ثانية (تجدّدا روحيًا). صحيح أن آدم وحواء عاشا باقي حياتهما بطبيعة خاطئة، توارثها أولادهما عبر الأجيال، لكن عندما مات جسدهما، ذهبت أرواحهما الخالدة إلى مكان بركة عظيمة. وبالنعمة وليس بالاستحقاق أُعطيا الحياة الأبدية، والتي تفوق في عظمتها حتى العالم الكامل الذي تمتّعا به في عدن.

النعمة وجدت طريقًا

<u>حل الله للفداء: رفض الصلاح البشري</u>

رفض الله رفضًا تامًا وكليًا ما يُعرف بـ"عملية ورقة التين" أي العمل البشري الذي قام به آدم وحواء كمحاولة بشرية لإرضاء الله. ثم بعد ذلك، قدّم خريطته للفداء وهذا هو تجسيد النعمة في أبهى صورها:

١- النعمة هي إحسان يُمنح دون توقّع أي مقابل (إذ لا يمتلك الإنسان شيئًا صالحًا يمكن أن يقدّمه لله كتعويض).

٢- عطاء حر تمامًا ينبع من محبة الله ولطفه تجاه الإنسان (بدءًا بآدم وحواء، ثم لكل شخص يولد على وجه الأرض).

٣- دافع النعمة الوحيد هو سخاء المُعطي وكرمه (أي الله، لا المستحقات البشرية).

٤- نعمة لا تُكتسب ولا تُستحق (فهي لا تُمنح بناءً على الجدارة أو الجهد، بل بناءً على محبة الله المجانية).

نحن لن نواجه تجربة جنة عدن كما واجهها آدم والمرأة، فقد خاضا هذا الامتحان بالنيابة عن الجنس البشري كله ومع ذلك، فكما كان الحال مع آدم وحواء بعد السقوط، على كل واحد منا أن يختار بنفسه: هل يقبل حل الفداء أم يرفضه؟ نحن، اليوم، ننظر إلى الوراء نحو ما حدث قبل ألفي عام على صليب الجلجثة، أما آدم وحواء، فقد كانوا ينظرون إلى تلك الحادثة باعتبارها آتية في المستقبل ومع ذلك، كان موضوع الإيمان لكليهما واحدًا: الرب يسوع المسيح.

لا يزال الله، إلى اليوم، يرفض كل أشكال الصلاح البشري ويقدم الخلاص بشروطه الخاصة، وهي:
الإيمان وحده بالابن الوحيد، المولود بطريقة فريدة، الرب يسوع المسيح، الذي نُسبت إليه كل خطايا البشرية، وقد تم الحكم عليه باعتباره البديل الكفاري عن كل إنسان في الجنس البشري.

مراجعة تسعة دروس مهمة:

الدرس الأول:
الله كليّ المعرفة (كولوسي ٢: ٣):
بما أن الله عرف، منذ الأزل (قبل بلايين السنين)، أن الخطية ستدخل العالم، فقد أعدّ الحل مسبقًا ضمن خطته الأزلية.

الدرس الثاني:
عند السقوط (الموت الروحي)، أصبح الإنسان غير كامل.
لذلك، كل ما يقوم به الإنسان من صلاح بشري ناتج عن طبيعته الفاسدة، ويعكس عدم كماله ما في النفس ينعكس في الفعل والسلوك.

الدرس الثالث:
منذ بداية "عملية ورقة التين" في جنة عدن، رفض الله كل المحاولات البشرية لنيل رضاه.
فكل عمل بشري يهدف لكسب القبول الإلهي يُعد غير مقبول عند الله.

الدرس الرابع:
بما أن جميع البشر من نسل آدم، فإنهم يرثون طبيعته الخاطئة (رومية ٥: ١٢).
أي أن الخطية الأصلية تنتقل من جيل إلى جيل، وهي السبب في الانفصال الروحي عن الله.

الدرس الخامس:
لا شيء يفعله الإنسان يثير إعجاب الله (إشعياء ٦٤: ٦). فالله لا يُعجب إلا بعمله هو، لا بأعمال الإنسان. كل صلاح بشري أشبه بـ"ثوب قذر" في نظر الله.

الدرس السادس:

الخلاص هو عمل إلهي بالكامل، دون مساهمة من الإنسان. فالله الآب هو من وضع الخطة، والابن هو من نفّذها، إذ تجسَّد وأصبح "نسل المرأة، والروح القدس هو من يُعلن هذه الخطة للبشرية جمعاء. "وأنتم منه في المسيح يسوع، الذي صار لنا حكمة من الله وبرًّا وقداسة وفداءً"
(كورنثوس الأولى ١: ٣٠)

(من هو العامل؟ الله وحده، وليس أنتم!)

الدرس السابع:

من يرغب في الخلاص، عليه أن يقبل عطية الله من خلال الإيمان وحده بالمسيح وحده، منفصلًا تمامًا عن أي صلاح بشري أو أعمال شخصية. .

"لأنكم بالنعمة مخلَّصون، بالإيمان، وذلك ليس منكم، هو عطية الله، ليس من أعمال كي لا يفتخر أحد" (أفسس ٢: ٨-٩).

الدرس الثامن:

قبول خلاص الله يؤدي إلى حياة أبدية لا يمكن أن تُنتزع أو تُلغى أبدًا.

"وأنا أُعطيهم حياة أبدية، ولن يهلكوا إلى الأبد، ولا يخطفهم أحد من يدي." (يوحنا ١٠: ٢٨).

الخلاص الحقيقي لا يُفقد أبدًا، لأن مصدره وقوته من الله نفسه.

الدرس التاسع:

الله كامل، وعمله كامل. وقد ابتدأ خطة الخلاص من خلال نعمته. لا يمكن للإنسان أن يُضيف شيئًا على النعمة.

- لقد افتداك بدم ابنه (معاملة أبدية تمّت مرة وللأبد) (راجع بطرس الأولى ١: ١٨-١٩)

- وختمك بالروح القدس (ختم أبدي لا يُنقض) (راجع ٢كورنثوس ١: ٢٢)

- وهو الذي يحفظك محفوظًا بخلاصه بقوته (أمان أبدي لا يتزعزع) (راجع يوحنا ١٠: ٢٩)

لقد بدأ الله خلاصك بالنعمة، وستبقى تتمتع بهذه النعمة إلى الأبد.

الفصل الرابع

عظمة النعمة التي تفوق الإدراك

كما قيل، ويستحق التكرار، قلّما توجد مواضيع في الكتاب المقدس يصعب فهمها أكثر من نعمة الله. ومع ذلك، لا يوجد ما هو أثمن بالنسبة لأولئك الذين يدركون معناها العميق وتأثيرها الهائل. المؤمنون الذين يتمحورون حول النعمة هم أكثر المؤمنين راحة واتزانًا وواقعية. هم يرفضون كل الإغراءات التي تدعوهم لإبهار الله بأعمالهم الصالحة البشرية، وبدلًا من ذلك، يتقبلون بالكامل كل ما يفعله الله من أجلهم بفضل ابنه، يسوع المسيح.

لقد تناولنا بعناية كيف أظهر الله نعمته في الخلق. وقد ركّزنا على خلق الإنسان في الجنة لتوضيح تدبير الله القائم على النعمة. وفي سقوط الإنسان، رأينا التمييز البارز بين حل الإنسان (عملية ورقة التين) والحل الإلهي (النعمة). .

ويبقى سؤالان مهمان ينبغي طرحهما حتى نكمل حديثنا حول نعمة الله في خلق الإنسان:

- ما الذي ساهم به الإنسان عند خلقه؟
- ما الدافع وراء سلوك الإنسان بعد السقوط، وبخاصة "عملية ورقة التين"؟

ماذا ساهم الإنسان في خلقه؟

الإجابة ينبغي أن تكون واضحة، لكن تأمل هذا القول:

"ويلٌ لمن يخاصم صانِعه، خزفٌ بين أخزاف الأرض! هل يقول الطينُ لجابله: ماذا تصنع؟ أو يقول مصنوعك: ليس لك يدان" (إشعياء ٤٥: ٩).

يشير إشعياء إلى أن الطين عاجز عن أن يشكّل نفسه ليصبح شيئًا نافعًا. وبالتالي، عندما شكّل الرب الإله الإنسان في الجنة، كان على الله أن يقوم بكامل العمل. هل يمكن لجثة ميتة أن تشارك في دفن نفسها؟ بالطبع لا. وكذلك لم يكن جسد آدم، الذي لا حياة فيه، قادرًا على أن يبدأ بالتنفس من تلقاء نفسه. لقد كان خلق آدم عملية كاملة تشمل الجسد والنفس والروح.

وقد خُلق بشكل فريد على صورة الله ومثاله، دون تدخل أو مشورة من أي كائن آخر.

ما الذي حرّك سلوك آدم بعد السقوط؟

الإجابة عن هذا السؤال بسيطة: لقد اختار أن يتصرف على هذا النحو.

كما اختار، في المقام الأول، أن يعصي الله. القرارات التي نتخذها هي التي تحدد الحياة التي نعيشها. قرار آدم بأكل الثمرة اتُّخذ في غياب الطبيعة الخاطئة لكن، في تلك اللحظة الواحدة من الإرادة السلبية (حرية الاختيار)، وُلدت الطبيعة الخاطئة. الطبيعة الخاطئة تُنتج كل أنواع الخطايا وكذلك كل ما يُعرف بالصلاح البشري. ومن خلال التكاثر، يرث كل واحد منا هذه

الطبيعة. وفي اللحظة التي نولد فيها جسديًا، ينسب الله إلينا خطيئة آدم الأصلية فنحن نولد أحياء جسديًا، لكن أمواتًا روحيًا. وكما حدث مع آدم والمرأة، فإن أفضل ما يمكن أن ننتجه ونحن في حالة الموت الروحي هو ما يُسمّى بالصلاح البشري. والمحرّك وراء هذا كله هو الإرادة الحرة، أي حرية الاختيار. آدم لم يكن يستطيع أن يقول: "طبيعتي الخاطئة جعلتني أفعل ذلك" لقد كان مسؤولًا بالكامل عن قراراته الخاصة.

يمكن تلخيص مجموعة كبيرة من الخطايا في كلمة واحدة: الكبرياء.
مثلها مثل باقي الخطايا، تنشأ الكبرياء من منطقة الضعف في الطبيعة الخاطئة.
يميل البشر ـــ كما الشيطان (إشعياء ١٤: ١٢-١٥) ـــ إلى إظهار الذات ومحاولة "مساعدة" الله أو إثبات قدرتهم على القيام بما هو أفضل منه وهذا الموقف هو تجديف صريح في أحسن الأحوال، وكبرياء متقن في أقصى درجاته.

غالبًا ما يترافق الكبرياء مع الصلاح البشري، الذي يُنتج من منطقة القوة في الطبيعة الخاطئة وعندما يزداد الصلاح البشري ويشوّه تعاليم الكتاب المقدس أو النظام الإلهي، يتحوّل إلى شرّ

لقد رأينا أن آدم والمرأة اختارا خطيئة الخوف عندما واجههما الله (تكوين ٣). وقبل أن يقترب الرب إليهما، كانت محاولتهما لتغطية عريهما مجرّد عمل من أعمال الصلاح البشري.

الرغبة في القبول، النابعة من الطبيعة الخاطئة، تكثّفت في صورة الكبرياء.
وأعطتهما ثقة زائفة في أن "ان كنا في علاقة جيدة مع بعضنا البعض، فسنكون كذلك مع الله" .
لكن لم يكن بإمكانهما أن يقولا: "طبيعتنا الخاطئة أجبرتنا" لقد كان كل منهما مسؤولًا عن قراراته. كل واحد منهما، وبإرادته الحرة، قرر ما سيفعله وفعله.

اليوم، تعمل قوات الشيطان بجد على التأثير الخفي في عقول المؤمنين غير اليقظين، مستخدمة خطيئته الأصلية: الكبرياء(الغرور) لهذا السبب يُطلق بطرس التحذير قائلًا:

"كونوا متيقظين، واحذروا. عدوكم إبليس يطوف كأسد زائر يزأر، طالبًا من يلتهمه"

(بطرس الأولى ٥: ٨).

أولئك الذين لا يفهمون نعمة الله ويعيشون وفق معايير العالم، هم بالفعل في معسكر الشيطان (أعداء الصليب) (فيلبي ٣: ١٨-١٩).

هؤلاء هم المؤمنون الأنانيون الذين يتبعون التشدد القانوني، الذين انخرطوا في نشاطات المسيحية العدوانية وتعاليم خلاص السيادة، والخلاص بالأعمال، وغيرها من البرامج البشرية.

وسيلتك الوحيدة للدفاع هي تعلّم تعاليم الكتاب المقدس. تعلّم النعمة، وفكر وفقًا للنعمة ـــ هذه هي طريقة الله. الخيار الآخر هو العقاب من المحكمة العليا في السماء. لا أحد يستطيع أن يقول: "الشيطان أجبرني على ذلك". نحن مسؤولون عن قراراتنا الخاصة. نحن الآن على أعتاب دراسة نعمة الله تجاه إبراهيم.

نعمة الله تجاه إبراهيم

من كان إبراهيم؟
ماذا فعل حتى ينسب الله برّه الكامل إليه؟
وما الذي فعله تحديدًا ليجعل الله اسمه عظيمًا؟
ما هو العمل الرائع الذي قام به إبراهيم ليحصل على لقب "صديق الله إلى الأبد"؟

دعونا ننتبه جيدًا لنعمة الله تجاه إبراهيم، لأن الكتاب المقدس يعرض إيمانه كنموذج لكل من يضع إيمانه في الرب يسوع المسيح. نعلم من الكتاب المقدس أن إبراهيم كان من نسل سام — أكبر أبناء نوح. وُلد باسم أبرام، وكان أصغر أبناء تارح، الذي كان مشركًا (يشوع ٢٤: ٢)، وعاش في أور الكلدانيين. أدرك أبرام أنه من غير المعقول عبادة المخلوقات، سواء كانت حية أو جمادات. فقد فسّر الرسول بولس عبادة الأصنام قائلًا:
"فَبِالرَّغْمِ أَنَّهُمْ كَانُوا يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ حُكَمَاءَ، فَصَارُوا جُهَّالًا، وَبَدَّلُوا مَجْدَ اللهِ الْغَيْرِ فَانٍ بِصُوَرٍ شَبَهِ الْبَشَرِ وَالطُّيُورِ والبهائم وَالدَّبَابَاتِ" (رومية ١: ٢٢-٢٣). فكسر أبرام تقليد عائلته وسعى لتحقيق رغبته في معرفة الله الحقيقي. خلال تجسده قال المسيح:
"لأن ابن الإنسان قد جاء ليطلب ويخلص ما قد هلك" (لوقا ١٩: ١٠)

رأينا دليلًا على ذلك عندما بحث الله عن آدم بعد سقوطه في سفر التكوين ٣: ٩. الله يكشف عن نفسه دائمًا لأولئك الذين يستجيبون إيجابيًا، وأبرام لم يكن استثناءً.

أحضر الله إبراهيم أولًا إلى حاران حيث توفي والده، ثم إلى كنعان . وفي مرحلة ما من رحلته الحياتية، أصبح واعيًا بالله، ثم وضع ثقته في الرب يسوع المسيح (تكوين ١٥: ٦).
هذه هي حلاوة النعمة.

كان الله يستطيع أن يتخلى عن آدم وحواء ويتركهما يتجولان تائهين، لكنه لم يفعل. كان بإمكانه أن يترك أبرام في أور أو حاران يبحث عن الله الحقيقي، لكنه لم يفعل. والأهم من ذلك، كان بإمكانه أن يتركك ويتركني، بلا أمل، وفي حالة من الفساد الأخلاقي، مع ضمان الموت الأبدي في بحيرة النار، لكنه لم يفعل. "لقد نزل من مجده" ليطلب ويخلص ما قد هلك. هذه هي النعمة الحقيقية!

<u>احتساب بر الله لإبراهيم</u>

ثم آمن هو [أبرام] بالرب [يسوع المسيح]؛ واحتسبه [الله الآب] له [لإبراهيم] برًا (تكوين ١٥: ٦).
وفقًا للأدوات المعجمية للعهد القديم، فإن الله سجل الإيمان [بالمسيح] بمثابة تبرئة، أي حكم بعدم الإدانة!

كتب لوقا:

لذلك يا إخوتي، أريد أن تعرفوا أن من خلال يسوع تُبشّر لكم مغفرة الخطايا. ومن خلاله [يسوع المسيح] كل من يؤمن [بما في ذلك إبراهيم] يتبرر من كل ما لا يمكن أن تتبرروا منه بواسطة

ناموس موسى [تبرير بالختان، تبرير بالسيادة، تبرير بالأعمال، تبرير بالتعميد، وما إلى ذلك] (أعمال ١٣: ٣٨-٣٩).

نعود إلى سؤالنا: ما نوع العمل الذي قام به أبرام حتى احتسب الله له بره الخاص؟
ما هو جوابك أنت؟
إذا كنت من الذين يؤمنون بالخلاص بواسطة السيادة، أو الخلاص بالأعمال، أو الخلاص بالتعميد، فقد ترغب في التوقف وإعادة التفكير في موقفك. لماذا؟
لأن الكتاب المقدس يوضح بجلاء: خلاص أبرام بالإيمان وحده في المسيح وحده كان نعمة وليس أعمالًا. لم يفعل أبرام شيئًا سوى أن آمن بالرب يسوع المسيح كما كشف له نفسه.

هل هناك أي عمل في الإيمان؟
ولو كان هناك، هل يمكن المحافظة عليه يومًا بعد يوم، لحظة بلحظة، حتى يعود جسدنا إلى التراب؟

بولس يدافع بحماس عن إيمان إبراهيم وحده في المسيح وحده

حلل الرسول بولس إيمان إبراهيم. في بداية رومية ٤: ١، يسأل بولس:

ماذا نقول إذن عن إبراهيم، أبونا حسب الجسد، الذي وجد شيئًا؟
لأن إبراهيم إن كان قد تبرر بالأعمال، فهو يفتخر بها، لكن ليس أمام الله فماذا يقول الكتاب؟
[مقتبس من تكوين ١٥: ٦] "وَآمَنَ أَبْرَاهِيمُ بِاللَّهِ، فَاحْسِبَ لَهُ ذَلِكَ بِرًّا"
الآن، لمن يعمل [أي عمل]، لا تُحتسب أجرته كنعمة، بل كحق مستحق. أما لمن لا يعمل، بل يؤمن بالذي يبرر الاثمين، فإيمانه [بدون شيء آخر] يُحتسب له برًا، كما يتكلم داود أيضًا عن البركة على الرجل الذي يحتسب له الله برًا بعيدًا عن الأعمال:
"طُوبَى لِلَّذِينَ غُفِرَتْ لَهُمْ آثَامُهُمْ، وَذُهِبَتْ خَطَايَاهُمْ
طُوبَى لِلرَّجُلِ الَّذِي لَمْ يُحْسِبْ الرَّبُّ لَهُ خَطِيئَتَهُ".
[مقتبس من المزامير ٣٢: ١-٢]
(رومية ٤: ١-٨)

النعمة مقابل الأعمال

تخيل للحظة أنك موظف في شركة للتصنيع.
تطلب الشركة من جميع الموظفين الحضور للعمل تمامًا عند الساعة السادسة صباحًا والبقاء حتى الساعة التاسعة مساءً — يوميًا، سبعة أيام في الأسبوع. أنت وزملاؤك تعملون لمدة ١٥ ساعة طويلة لصالح الشركة، ولا يتبقى لكم سوى تسع ساعات فقط للقيام بالأشياء الأخرى مثل الطبخ، والأكل، والاستحمام، وبالطبع النوم.

في نهاية الشهر، يسلمك المدير شيكًا ويقول:
"هذا الشيك هو منحة من الشركة لك"،
كيف ستكون ردّك؟

هل ستأخذ الشيك وتقول ساخرًا: "نعم، بالطبع!"
أم ستقول له بأدب: "ألا تقصد أن هذا هو راتبي مقابل كل عملي الشاق، وليس منحة"

سيناريو آخر:
أنت والد لعائلة كبيرة وفقيرة. لا تستطيع تحمل شراء دراجة مستعملة، ناهيك عن سيارة تمشي يوميًا ١٤ ميلًا ذهابًا وإيابًا للعمل. في يوم ما، قرر رجل غني، الذي كان يراك لأيام عدة على الطريق، أن يفعل شيئًا من أجلك. ذهب إلى معرض سيارات واشترى لك سيارة.
وفي صباح أحد الأيام، وصل إلى باب منزلك تمامًا حين كنت تستعد للذهاب للعمل، وطرق الجرس، وقال: "ها هو مفتاح سيارتك الخاصة - إنها هديتي لك"

كيف ستكون ردّك؟ هل ستقول له: "أعطني المفتاح، فأنا أستحق هذا."؟
ولكن، والأهم، كيف ستشعر وأنت تقود تلك السيارة؟ ربما سيشعر أي شخص طبيعي بشعور غامر ودهشة لوقت طويل، وربما يكون مترددا جدًا لقيادتها. أنت والمانح فقط تعلمان أنك لم تعمل من أجلها، ولم تستحقها — إنها فعلًا منحة تُعطى دون توقع مقابل! الكلمة اليونانية "خَاريس" (نعمة أو منّة) ليست فقط عكس "إرغا" (عمل)؛ بل هما مصطلحان منفصلان تمامًا!

لقد قدمنا مثالين مختلفين جدًا: الأول راتب مقابل العمل، والثاني هدية نعمة - منّة غير مستحقة. والآن يمكننا أن نتبع الرسول بولس وهو يدافع بقوة عن إيمان إبراهيم وحده في المسيح وحده، ويرسم خطًا لا يمحى بين الأعمال والنعمة. تذكّر أن موضوع الرسول هو:
"النعمة والأعمال لا يجتمعان معًا".

بمعنى آخر، هو يقول إن الأعمال البشرية ليست وسيلة لإقامة علاقة مع الله، ولا هي شرط للحفاظ على تلك العلاقة. أستغرب كيف يمكن لبعض المؤمنين أن يكونوا منطقيين جدًا في أمور الحياة العامة، لكنهم يصبحون غير منطقيين في الأمور الروحية. على سبيل المثال، إذا لم تكن الأعمال وسيلة للدخول في علاقة مع الله، فكيف يمكن أن تكون وسيلة للحفاظ على تلك العلاقة؟ هذا لا معنى له حتى!

أو، استنادًا إلى تعريف النعمة، كيف يمكن لأحدهم أن يحاول إضافة الأعمال إلى النعمة؟ هذا مثل محاولة خلط الزيت بالماء - لا يختلطان أبدًا! ما يوضحه الرسول في رومية هو أن الأعمال هي أعمال، والنعمة هي نعمة. ولكن، الأهم من ذلك، يثبت دون شك أن جميع المحاولات لإضافة الأعمال إلى النعمة تُبطل النعمة؛ الإيمان زائد أي نظام من الجهد البشري يُلغي الإيمان ثم لخص الرسول بولس ذلك لاحقًا قائلًا:

"لكن إذا كان [الخلاص] بالنعمة [وهو كذلك]، فلم يعد [الخلاص] على أساس الأعمال؛ وإلا فإن النعمة لا تكون نعمة" (رومية ١١: ٦).

لتبسيط هذا الحُجَّة بمثال:
إذا أضفت سُمًّا إلى الماء، يصبح الماء ملوّثًا وسامًا. وبالمثل، إضافة الأعمال إلى النعمة يلوّث النعمة ويبطلها. يواصل الرسول بولس الدفاع عن حجته:

الدفاع الأول: الختان-عمل بشري

جاء بعض الرجال من اليهودية وبدأوا يعلمون الإخوة [المؤمنين في أنطاكية]:
"إن لم تختتنوا حسب عادة موسى، لا تقدرون أن تخلصوا" (أعمال ١٥: ١).

كانت هذه تعاليم هرطوقية لليهود المتشددين في الكنيسة الأولى. واليوم، أصبح هذا نموذجًا لكثير من المعلمين الزائفين الذين لديهم معرفة ضئيلة أو معدومة بنعمة الله. يطرح الرسول بولس دفاعه على الطاولة:
كيف إذًا احتُسب الإيمان [كبرّ]؟ هل كان [أبرام] مختونًا أم غير مختون؟
ليس وهو مختون، بل وهو غير مختون! (رومية ٤: ١٠).

يطلب بولس من قرائه أن يتذكروا التاريخ؛ كان أبرام مؤمنًا منذ زمن بعيد قبل أن يختتن، وقد غير الله اسمه من أبرام إلى إبراهيم عندما كان عمره ٩٩ عامًا. ففعل الختان (رمز العمل البشري) لم يكن له علاقة بخلاص إبراهيم وتبريره.

الدفاع الثاني: الالتزام بالناموس-الأعمال للخلاص

نعلم الآن أن ما يقوله الناموس يخاطب أولئك الذين هم تحت الناموس، لأنه:

"بالأعمال التي يطلبها الناموس لا يتبرر أمامه جسد" (رومية ٣: ١٩-٢٠).

أضاف بولس:

"لأن الوعد لإبراهيم أو لنسله بأنه سيرث العالم لم يكن بالناموس، بل بعدل الإيمان"

(رومية ٤: ١٣).

يُبيّن بولس أن إبراهيم كان مؤمنًا منذ زمن طويل قبل أن يأتي ناموس موسى. وقد جاء ناموس موسى بعد ٤٣٠ سنة من آخر تأكيد للعهد الإبراهيمي لابن إبراهيم، إسرائيل. في رسالة غلاطية كتب بولس: ما أقصده هو هذا: الناموس الذي جاء بعد أربعمائة وثلاثين سنة لا يبطل العهد الذي قبله الله حتى يُلغى الوعد.
"لأن إذا كان الإرث بالناموس [الأعمال]، فلا يكون بعد بالوعد، بل قد أعطي [الإرث] لإبراهيم بالوعد" (غلاطية ٣: ١٧-١٨).

ومن المثير للاهتمام أن كلمة "أعطي" هي الفعل اليوناني "خاريسوماي" وتعني العطاء بحرية أو بكرم كمنحة. لذلك كان خلاص إبراهيم شيئًا بدأه الله، ونفذه، وأتمه بالنعمة. وعندما جاء الناموس، لم يضيف شيئًا ولا ينقص مما كان إبراهيم قد تلقاه بالفعل بالنعمة من خلال الإيمان وحده في المسيح وحده. لو فهم الذين يؤمنون بالخلاص بالأعمال هذا المفهوم، لما كانوا

مرتبكين بسبب عقيدة يعقوب عن التبرير بالأعمال الإلهية - وهي عقيدة لا علاقة لها بالتبرير الذي يحصل عليه الإنسان نتيجة للخلاص!

ألم يكن إبراهيم أبونا يتبرر بالأعمال، عندما قدم إسحاق ابنه على المذبح؟ (يعقوب ٢: ٢١).

لو كان الرسول يعقوب حيًا اليوم، ربما كان سيجادل قضيته بنفس الحزم الذي جادل به بولس: متى أصبح إبراهيم مؤمنًا بالرب؟ هل كان ذلك عندما قدم إسحاق ذبيحة على المذبح أم قبل أن يولد إسحاق؟ الإجابة واضحة تمامًا: أصبح إبراهيم مؤمنًا قبل أن يولد إسحاق؛ لذلك، فإن طاعته لله في تقديم إسحاق لم تضف شيئًا إلى خلاصه، بل كانت تعبيرًا عن ذروة نموه الروحي، وهو ما أكسبه لقبه الجديد "صديق الله" (يعقوب ٢: ٢٣). هذا المثال يوضح الفرق بين تبرير غير المؤمنين بالإيمان (الذي يؤدي إلى الخلاص) وتبرير المؤمنين بالأعمال الإلهية.

(قد ترغب في قراءة كتابنا **"العقيدة الكتابية للخلاص"** للمزيد عن عقيدة التبرير بالأعمال)

من المدهش أن علماء اللاهوت والقساوسة الذين، بسبب فشلهم في دراسة كلمة الله المعصومة باستخدام أساليب الدراسة الصحيحة مثل الإيزاجوجيا والتفسير الدقيق والتصنيفات المنهجية، هم من أدخلوا الدين وجلبوا الفوضى داخل صفوف المسيحية. إن منهج الإيزاجوجيا الخاص بهم ينزع الكتاب المقدس من سياقه التاريخي؛ وتفسيرهم يحل محل الاعتماد على اللغات الأصلية بجدال حول أفضل ترجمة إنجليزية؛ وتصنيفاتهم تركز على العواطف والمشاعر وتجسيد الله بطريقة بشرية.

- الإيزاجوجيا الصحيحة تعترف بالأهمية الأساسية لتحليل الكتاب المقدس في سياقه التاريخي.
- التفسير الدقيق يتطلب سنوات من دراسة اللغات القديمة، لكي يتمكن القارئ من ترجمة كل تعبير ولفظة في الكتاب المقدس بدقة.
- والتصنيف السليم لعقائد الكتاب المقدس يجب أن يشمل كل كلمة الله ضمن إطار لاهوتي متماسك لا ينهار بسبب التناقض الذاتي.

يُعلَّم الكتاب المقدس ويُتعلم "تعليمًا تعليميًا، سطرا سطرا" (إشعياء ٢٨: ١٠)
بدلًا من ذلك، تهيمن العقائد الزائفة مثل "الخلاص بدعوة المسيح إلى قلبك"، والعديد من العقائد الأخرى على المشهد اللاهوتي. لم يُعلّم ربنا ولا الرسل هذه المفاهيم الزائفة، ولا يمكن العثور على هذه التحريفات في الكتاب المقدس. تمثل هذه كلها الإنجيل الكاذب - إنجيل لا يستطيع، ولا يفعل، ولن يخلص أحدًا. إنها لا تتوافق مع حقيقة كلمة الله.

انظر إلى هذه الآيات:

"لأَنَّكُمْ بِالنِّعْمَةِ مُخَلَّصُونَ بِالإِيمَانِ [كإبراهيم]، وَذَلِكَ لَيْسَ مِنْكُمْ، هُوَ عَطِيَّةُ اللهِ، لَيْسَ مِنْ أَعْمَالٍ، لِكَيْ لا يَفْتَخِرَ أَحَدٌ" (أفسس ٢: ٨-٩).

"... مَا خَلَّصَنَا لَيْسَ بِأَعْمَالٍ بَرٍّ صَنَعْنَاهَا، بَلْ بِرَحْمَتِهِ" (تيطس ٣: ٥أ).

الَّذِي خَلَّصَنَا وَدَعَانَا بِدَعْوَةٍ قِدِّيسَةٍ [عبر رسالة الإنجيل]، لَيْسَ حَسَبَ أَعْمَالِنَا، بَلْ حَسَبَ مَقْصِدِهِ وَنِعْمَتِهِ الَّتِي أُعْطِيتْ لَنَا فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ مِنْ قِبَلِ الأَزَلِ" (٢تيموثاوس ١: ٩).

ليس من المستغرب أن يكون بولس صارمًا جدًا في رسم خط فاصِل بين النعمة والأعمال! فبجانب إيمانه غير المستحق بالمسيح، لم يفعل إبراهيم شيئًا آخر ليضمن خلاصه، ولم يكتسب بأي عمل نسبة الله للبر الكامل الذي منه يتمتع. الكتاب المقدس يناقض بوضوح أي من يدعي عكس ذلك. كل شيء (وكل ما) حصلنا عليه من إلهنا الرحيم جاءنا عبر قمع النعمة التي لا تُقاس، والفريدة، والتي لا تُدرك - لا أكثر ولا أقل!

هل هناك أعمال بعد الخلاص؟

يوافق البعض على أننا مخلصون بالنعمة، لكنهم يجادلون بأن الخلاص بدون أعمال لا قيمة له في هذه الحياة. هذا كلام سخيف! هذا نفس الجدال القديم الذي يقول إن الإنسان يمكنه أن يفعل شيئًا ليُعجب الله، وهو أساس هرطقة الخلاص بالأعمال مع تعديل بسيط. لكن الحقيقة هي العكس تمامًا. كما أن الله يقوم بكل العمل في الخلاص، فكذلك هو يفعل في حياتنا بعد الخلاص. لم يحتج الله أبدًا إلى مساعدة من أحد، ولن يحتاجها أبدًا.

المبدأ هو: أي "خير" يقوم به غير المؤمن يُعتبر خيرًا بشريًا. وعندما يكون المؤمن جسديًا (أي تحت سيطرة الطبيعة الخاطئة القديمة)، فإنه يقلد غير المؤمن في إنتاج الخير البشري، والله يرفض كل الخير البشري. فقط عندما يكون الروح القدس هو المسيطر، يُنتج المؤمن الخير الإلهي. وهذا هو العمل الصالح الذي يتحدث عنه بولس في (أفسس ٢: ١٠). المسألة ليست ما هو العمل، بل من الذي يقوم بالعمل ومن المسيطر عليه. كما هو الحال في الخلاص، كذلك في حياتك الروحية بعد الخلاص، الله يقوم بكل العمل (فيلبي ٢: ١٣)..

الكتاب المقدس واضح جدًا أننا قد تم شراؤنا (١بطرس ١: ١٨-١٩) وأننا الآن ننتمي إلى الله (١كورنثوس ٦: ٢٠).
إنه من الغطرسة أن تضيف شيئًا لتحاول مساعدة الله. عندما تُضاف الأعمال البشرية إلى المعادلة، فهذا محاولة متعجرفة لاسترجاع ما لم يعد لنا. تبارك الله وآباؤنا، إله ربنا يسوع المسيح، الذي بحسب رحمته العظيمة [النعمة في الفعل] ولدنا من جديد إلى رجاء حي بواسطة قيامة يسوع المسيح من الأموات، لننال ميراثًا لا يفسد ولا يتلوث ولا يزول محفوظًا في السماويات لكم، الذين تحفظون بقوة الله بالإيمان للخلاص المستعد أن يظهر في الدهر الأخير(١بطرس ١: ٣-٥).

قال المسيح:
"وأنا أعطيهم حياة أبدية، ولن يهلكوا أبدًا، ولا يأخذهم أحد من يدي. أبي الذي أعطاني إياهم هو أعظم من الكل، ولا يستطيع أحد أن يأخذهم من يد أبي" (يوحنا ١٠: ٢٨-٢٩).

في هذا تكمن واحدة من أجمل معاني النعمة - يَدان قديرتان تُمسكان بالمؤمن! كيف يمكن أن يكون الأمر أفضل من ذلك؟

يلخص بولس معنى أن يصبح الإنسان موضوع محبة الله الأبدية بقوله:
"فإني على يقين [بالروح القدس] أن الموت ولا الحياة، ولا الملائكة، ولا الرئاسات، ولا الأمور الحاضرة، ولا الأمور الآتية، ولا القوى، ولا العلو، ولا العمق، ولا شيء آخر من مخلوقات، يستطيع أن يفرقنا عن محبة الله التي في المسيح يسوع ربنا" (رومية ٨: ٣٨-٣٩).

بدأ الله خلاصك بالنعمة، وستستمتع بنعمته إلى الأبد. الآن، لهذا الذي يستطيع أن يحفظكم من التعثر [فقدان خلاصكم]، ويقدمكم بلا لوم أمام مجده بفرح عظيم [دون أي تهمة ضدكم]، إلهنا الوحيد المخلص، بواسطة يسوع المسيح ربنا، له المجد والعظمة والسيادة والسلطان قبل كل زمان والآن وإلى الأبد. آمين (يهوذا ١: ٢٤-٢٥)..

الفصل الخامس
الدينونة

الدينونة في الجنة

فلنعد الآن إلى الجنة، حيث تعلمنا أن الله افتقد آدم والمرأة بعد موتهما الروحي. فبينما حاولا الاختباء، كان الله يسعى إليهما بالمحبة، والنزاهة، والنعمة. لقد رأينا كيف أن برّ الله طالَبَ بإصدار الحكم عليهما، وكيف أن هذا الحكم أسفر عن دينونة عادلة. تذكّر أنه لولا الخطيئة، لكان بمقدور آدم والمرأة أن يعيشا إلى الأبد في الجنة، ولكن لم تكن لديهما الحياة الأبدية اللازمة للعيش في حضرة الله.

ورغم بشاعة الدينونة في ظاهرها، إلا أن جمالها العميق يكمن في أنها تجعل الخلاص والحياة الأبدية ممكنَين. نعم، إن لم يكن الإنسان مدانًا، فلن يكون هناك ما يُخلَّص منه. سيكون الأمر أشبه بمحاولة إنقاذ رجل من الغرق بينما هو لم يبتلّ بالماء أصلًا.

الدينونة عند الولادة

باستثناء ناسوت المسيح الذي وُلد من عذراء، فإن كل طفل بريء يُولد مدانًا — ميتًا روحيًا. هل قال أحدهم: "هذا ليس عدلًا"؟ فكر مرة أخرى. الأطفال لا يُدانون بسبب خطيئة شخصية ارتكبوها، بل لأن الله، في اللحظة التي يمنحهم فيها الحياة، يحسب عليهم خطيئة آدم الأصلية. لماذا؟ لأن، كما حدث مع آدم، يجب أن تسبق الدينونة الخلاص. وهذا الإسناد (احتساب الخطيئة) هو ما يوفّر للجميع فرصة متساوية لنيل الخلاص. هذا هو جمال نعمة الله ونزاهته - فهو عادل مع الجميع. لا يمكنك أن تفعل شيئًا لتتسبب في دينونتك، كما لا يمكنك أن تفعل شيئًا لتحقق خلاصك. فبدون دينونة، لا حاجة لحل فدائي.

حل الفداء

ما كان حال آدم في سفر التكوين ٣: ١٥؟
الإجابة: ميت روحيًا وفاسد تمامًا.
نعم، على عكس الأطفال، كان آدم والمرأة بالغين واعيين لحقيقة وجود الله، ومدركين بمرارة أنهما انفصلا عنه وأصبحا بلا رجاء. كان آدم يعلم تمامًا عواقب الخطيئة قبل أن يختار ارتكابها وبعد موته الروحي وانفصاله عن الله، لم يعد في موقع يمكنه فيه أن يصنع سلامًا مع الله، لذا اختبأ. ومع ذلك، كان في قمة عصيانه لله عندما وعده الله بمخلّص:

"وأضع عداوة بينك وبين المرأة، وبين نسلك ونسلها؛ هو يسحق رأسك، وأنت تسحقين عقبه" (تكوين ٣: ١٥).

كان آدم وجميع المؤمنين في العهد القديم يتطلعون إلى الصليب. لقد وعد الله بإرسال ابنه (لاهوت المسيح)، المولود الوحيد والفريد (حمل الله الكامل؛ الإله المتجسد - يسوع المسيح)، الذي سيذهب إلى الصليب ويتحمّل هناك حساب ودينونة خطايا العالم بأسره، وبذلك يُزال حاجز الخطيئة من طريق العلاقة الأبدية مع الله. فقط "الإله-الإنسان" كان مؤهلًا ليكون المخلّص. وعندما عبّر آدم والمرأة عن إيمانهما بالمخلّص الموعود، منح الله كلًا منهما حياته الأبدية الخاصة به.

كتب الرسول بولس:

"من أجل ذلك، كأنما بإنسانٍ واحد [آدم] دخلت الخطية إلى العالم، وبالخطية الموت، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس، إذ أخطأ الجميع" — [عندما أخطأ آدم] (رومية ٥: ١٢).

"ولكن الله بيّن محبته لنا، لأنه ونحن بعد خطاة، مات المسيح لأجلنا."

(رومية ٥: ٨)

لماذا خلق الله الإنسان؟

فلماذا إذًا خلق الله الإنسان وهو يعلم (بعلمه المطلق) أن الإنسان سيسقط ويفشل؟ الله ليس مُسبّب الخطيئة، ولم يخطط أو يُقَرّر السقوط أو الفشل، لكنه كان على علمٍ كامل بهما مسبقًا. كان داود واعيًا كل الوعي بعلم الله الكامل حين كتب:

يا رب، قد اختبرتني وعرفتني. أنت تعرف جلوسي وقيامي، وتفهم فكري من بعيد تراقب. مسيري ومضجعي، وأنت مُطّلع على جميع طرقي. حتى قبل أن تكون الكلمة على لساني، ها أنت يا رب قد عرفتها تمامًا. عيناك رأتا كياني وهو غير مُشكَّل، وفي كتابك كُتبت جميع أيام حياتي، قبل أن توجد منها واحدة ". (مزمور ١٣٩: ١-٤، ١٦).

الإجابة على سؤالنا هي أن الإنسان كان يجب أن يُخلَق كائنًا ذا إرادة حرّة، قادرًا على الاختيار لصالح الله أو ضده، من أجل حسم قضية استئناف الشيطان. تذكّر أنه قبل السقوط، كان الاختبار الإرادي الوحيد أمام آدم والمرأة هو:
هل سيُطيعان وصيّة الله بعدم الأكل من شجرة معرفة الخير والشر؟

إخفاقات الإنسان تقابلها نعمة الله

منذ السقوط، والإنسان يواجه اختبارات متكررة للإرادة، وقد فشلنا في الكثير منها. وقد سُجّلت كثيرٌ من هذه الإخفاقات في كلمة الله لفائدتنا الروحية والتعليمية.

الدروس التي يجب أن نستخلصها من كل حالة هي:
عدالة الله الكاملة تُقابل كل فشل بمحبته، من خلال نعمته. لا أحد كان يستحق عقوبة أكثر، ولا أحد يستحق أقل، ولا أحد يستحق نوعًا مختلفًا من العقوبة. عندما تفشل، يمكنك أن تتوقع تأديبًا عادلًا وكاملًا - لأن الله كامل. لا أحد يستحق محبة الله أو نعمته. فمحبة الله أزلية، غير متغيرة، ولا تتأثر بأي من خطايانا أو إخفاقاتنا أو حتى نجاحاتنا.

القضية الحقيقية ليست في استحقاقنا، بل في أمانة الله ونزاهته. الله يُحب المؤمن الجسدي والبعيد عن الله (المرتد) بنفس المقدار الذي يحب به المؤمن الناضج روحيًا، الذي يسير في طريق التمجيد الكامل لله. النعمة تُركّز على من هو الله، وما يفعله من أجل الإنسان. وبينما نحن ننعم بفيض نعمته، لا يمكننا أن نُراوغ أو نستغل هذه النعمة.

بركة أم تأديب؟

بصفتك مؤمنًا، فأنت موضوع محبة الله وموضع نعمته، في الزمان والأبدية. قد تتجاهل الله، لكن الله لا يتجاهلك أبدًا. سواء كنت روحيًا أو جسديًا، فإن سياسة نعمته تستمر بلا انقطاع على الصليب، دفع يسوع المسيح ثمن جميع خطايانا بالكامل. لكن، في الزمان، الخطيئة الشخصية تُدمّر شركتك مع الله وتُبعدك عن الحياة الروحية. حينها، تُصبح مؤمنًا جسديًا في اللحظة ذاتها.

وإن رفضت أن تستخدم ما جاء في (١يوحنا ١: ٩) لاستعادة شركتك مع الله، فإنك تدعو التأديب إلى حياتك وتصنع شقاءك بيدك. أنت من يُطلق ديناميكية التراجع السلبي في حياته
وبدلًا من التقدُّم من خلال فَهم وتطبيق التعليم الكتابي، فأنت تتراجع إلى الوراء. في حالة الشركة، تفيض محبة الله ونعمته بالبركات؛ أما في حالة الجسدية، فالمحبة ذاتها والنعمة عينها تفيض بالتأديب. تُعاقب على فشلك في البقاء في شركة مع الله، مما يمنعك من تنفيذ الحياة الروحية كما قصدها الله لك.

ويستمر التأديب حتى تُغيّر رأيك وتستخدم الحل (١يوحنا ١: ٩) لتستعيد الشركة مع الله. وإن اخترت أن تُبقي على حالتك الجسدية، فإن التأديب الإلهي يشتدّ تدريجيًا. وفي النهاية (موت بائس ومروع) ، يواجه المؤمن الجسدي. ومع ذلك، وفي خضم التأديب التحذيري، والتأديب المُكثّف، وتأديب ما قبل الموت، تبقى محبة الله لك ثابتة لا تتغير.

وعندما تموت، ستذهب إلى السماء - لأن نعمة الله، ومحبته، وأمانته تضمن ذلك. ومع ذلك، ستفقد كل البركات الرائعة والفريدة التي أعدّها الله لك أنت خصيصًا، لأنك لم تنمُ في معرفتك ولا في النعمة الكافية لتكون مؤهلًا لنيلها. لم تتّخذ قرارات يومية ثابتة للنمو في النعمة ومعرفة

ربنا ومخلّصنا يسوع المسيح. كان هناك دائمًا ما هو "أكثر أهمية" بالنسبة لك من حضور فصول دراسة الكتاب، ولم ترَ القيمة الحقيقية لذلك. لذا بدلًا من أن تنال البركات المصمّمة لك شخصيًا، نلت التأديب الذي صمّمه الله لك أنت أيضًا، شخصيًا. إنه تأديب عادل. تأديب محبّ تأديب يتسم بحضور النعمة. ولا تنسَ أبدًا، إنه اختيارك. لأن السبب الرئيسي في خلق الإنسان هو: الاختيار.

البشارة الأولى (Protoevangelium)

عن الخلاص (البشارة الاولي). تُعد (تكوين ٣: ١٥) أول إعلان
وهي من أهم المقاطع النبوية في الكتاب المقدس جاء هذا الإعلان الأول للبشارة في سياق نطق الله بالحكم على الحيّة (الشيطان)، الذي كان قد حقّق للتوّ نصرًا عظيمًا في معركته ضد الله والإنسان. ثم تبع ذلك حكم الله على المرأة، وعلى الخليقة، وعلى آدم. وكما تتذكّر، فإن الله سبق أن أصدر الحكم على الشيطان، وأدانه بالنار الأبدية قبل خلق الإنسان بزمن طويل. لكن الشيطان قدّم طعنًا أو استئنافًا على هذا الحكم، وهو ما أدى إلى تأجيل تنفيذ العقوبة. ثم خلق الله الإنسان ليكون الوسيلة التي تُحسَم بها قضية الشيطان.

وكانت القضية بسيطة: لو اختار إنسانٌ واحد فقط أن يطيع الله، فستخسر قضية الشيطان إلى الأبد. لكن آدم لم يختر الله، بل عصاه، وبذلك تنازل عن سيادته على الأرض لصالح الشيطان لبقية الزمن. لم يكن بالإمكان أن تزداد الأمور سوءًا. لكن نعمة الله وجدت طريقًا لتحويل المشهد كله. ففي خضم إعلانه الحكم على الشيطان، أعطى الله لمحة من خطّته الأزلية لخلاص الجنس البشري. مخلّصنا، الرب يسوع المسيح.

"وأضع عداوة بينكِ [أيتها الحيّة = الشيطان] وبين المرأة [حواء]، وبين نسلك [البشر غير المؤمنين] ونسلها [الناسوت البشري للمسيح]؛ هو [يسوع المسيح] يسحق رأسك [ضربة مميتة]، وأنتِ تسحقين عقبه [الصليب]". (تكوين ٣: ١٥).

فلنُمعن النظر في هذا التصريح الحيوي والمصيري، ولكن علينا أن نتذكّر أن آدم وحواء كانا في حالة موت روحي عند سماعهما له.

"الإنسان الطبيعي [النفساني، الميت روحيًا، غير المؤمن الذي لا يملك روحًا بشرية] لا يقبل ما لروح الله، لأنه عنده جهالة، ولا يستطيع أن يفهمه لأنه إنما يُحكم فيه روحيًا" (كورنثوس الاولى ٢: ١٤)

ولذلك، كان الروح القدس هو من أوضح لهما الإنجيل، تمامًا كما يفعل اليوم مع جميع البشر في كل جيل وزمان.

العداوة بين الشيطان والمرأة

"أضع عداوة بينكِ وبين المرأة".

كلمة "عداوة" هنا في العبرية هي اسم يُشير إلى العداء الشخصي العميق والمستمر. ويذكر قاموس براون، درايفر، وبريجز للّغة العبرية والإنجليزية، أن هذا اللفظ يُستخدم أيضًا في وصف العداء بين الأفراد والشعوب. هذا التعبير يُقرّ بحقيقة أن الشيطان أصبح سيّد هذا العالم، وأن نظامه العالمي، منذ لحظة السقوط وحتى نهاية الزمن، سيكون مصدر العداء والتشويش والضلال للبشرية جمعاء. "فكل من يريد أن يكون صديقًا للعالم [نظام الشيطان] يُقيم نفسه عدوًا لله" (يعقوب ٤: ٤).

العداوة بين الشيطان والمسيح

"... وبين نسلكِ ونسلها..."

"نسلك" كلمة تشير إلى أتباع الشيطان أي البشر غير المؤمنين.

(قارن ذلك بما قاله الرب يسوع في يوحنا ٨: ٤٤: "أنتم من أبٍ هو إبليس")

أما "نسلها" فيُشير في نهاية المطاف إلى الناسوت البشري للمسيّا، ربنا يسوع المسيح. وقد شدّد النبي إشعياء في ٧: ١٤ لاحقًا على معنى "نسل المرأة"، ليؤكّد بذلك على ميلاد المسيح العذراوي الفريد، دون تدخل رجل.

جُرح المسيح

"... وأنتِ تسحقين عقبه."

الجُرح في العقب يُشير إلى الآلام التي لا نظير لها، والتي تكبّدها ناسوت المسيح على الصليب.

لاحظ أن "جُرح المسيح في العقب" يأتي بعد "سحق الشيطان في الرأس" (تكوين ٣: ١٥)، لكن من حيث الترتيب الزمني، فإن الحدثان بالعكس

"قد عُرِف [المسيح] قبل تأسيس العالم، ولكنه أُظهر في الأزمنة الأخيرة من أجلكم."

(١بطرس ١: ٢٠)

خلال تلك الساعات الثلاث من الظلمة الخارقة للطبيعة على الصليب، سكب الآب السماوي كل خطايا التاريخ البشري ودانها في شخص ابنه الوحيد الفريد. لقد دُفِع ثمن كل خطيئة لكل إنسان وُجد أو سيُوجد، كاملًا. النعمة أتمّت العمل الكامل الذي لا يمكننا أن نضيف إليه شيئًا. ورغم أننا قد لا نُدرك تمامًا ماذا يعني أن يواجه المسيح الكامل كل خطايانا وجهًا لوجه، لكن لدينا هذا اليقين: جُرح كعبه لم يكن قاتلًا. قيامة المسيح تؤكد أن سيادة الشيطان محكومة بالزوال.

جُرح الشيطان

"... هو يسحق رأسك."

هذا التعبير هو نبوءة بهزيمة الشيطان على يد ربنا يسوع المسيح. إن سحق الرأس يُمثّل نهاية سيادة الشيطان على العالم. فانقلاب الشيطان في الجنة كان محكومًا عليه بالفشل منذ البداية. وبينما كان الشيطان على علم بذلك، بذل كل ما في وسعه لإفشال خطة الله. بل أرسل ملائكته الساقطين إلى الأرض ليتزاوجوا مع البشر، في محاولة لإفساد "نقاء الناسوت البشري" الذي يجب أن يتجسد فيه المسيح. (فأبناء الآباء الملائكيين والأمهات البشريات لم يكونوا بشريين بالكامل).

ولكن يسوع المسيح كان عليه أن يكون إنسانًا حقيقيًا وإلهًا حقيقيًا

(الاتحاد الأقنومي – **Hypostatic Union**)

ليكون مؤهلًا للوساطة بين الله والناس. فأجاب الله هذا التهديد العظيم بطوفانٍ أعظم،

وأُعيد بدء الجنس البشري من خلال نوح وعائلته، الذين كانوا الوحيدين الذين ظلوا بشريين بالكامل (تكوين ٦). وقد كانت تجربة الشيطان للمسيح تهدف إلى منع حدوث الصليب،

لكن الصليب أصبح واقعًا، وانكسرت شوكة الشيطان إلى الأبد. وفي الظهور الثاني للمسيح،

سيتعرّض الشيطان لهزيمة شخصية على يد الرب يسوع. وسوف يملك المسيح ألف سنة،

ثم يُنفَّذ في الشيطان وأتباعه الحكم الذي أُعلن في محاكمته الأصلية.

"ويمضي إبليس... إلى بحيرة النار والكبريت، حيث الوحش والنبي الكذاب، ويُعذَّبون نهارًا وليلًا إلى أبد الآبدين" (متى ٢٥: ٤١، رؤيا ٢٠: ١١-١٥).

نعمة الله العظمى في ذلك اليوم

لم يكن آدم وحواء يستحقان عدالة الله ولا نعمته في ذلك اليوم العظيم، وكذلك لم يستحقها أحدٌ بعدهما. لقد جاء ابن الله كخادم، ليُقدِّم نفسه ذبيحة خطية عن العالم بأسره. ثم تعلمت الأجيال التالية تفاصيل أكثر عن مجيء المسيّا، وكان على كل جيل أن يتّخذ قرارًا روحيًا بناءً على ما عرفه من إعلان الله.

وعلى مدار التاريخ كله، كانت الطريقة الوحيدة للخلاص هي:

"الإيمان وحده، بالمسيح وحده"
كما كُشِف لهم في زمانهم.

الفصل السادس
خلاص إسرائيل

لا توجد حوادث في خطة الله وهدفه للمؤمنين. استخدم الله فترة العبودية المصرية التي دامت ٤٣٠ سنة لصقل شخصية بني إسرائيل. والآن كان الوقت لتأسيس الأمة. أرسل الله على مصر تسع ضربات لإقناع فرعون أن يحرر بني إسرائيل، شعب الله المختار. كل ضربة زادت الضغط على مصر وأظهرت القوة العظيمة لله الذي يعبده إسرائيل. لكن فرعون ظل صامدًا ولم يتحرك. لذلك، في ليلة واحدة، كانت الضربة العاشرة والأخيرة التي أطلقت إسرائيل كأمة مستقلة. كانت تلك الليلة التي حررتهم من العبودية ووضعتهم على طريق التجديد الوطني.

لا يمكن لأي إنسان أن ينسب لنفسه الفضل في هذا الحدث، فقد كان عمل الله بالكامل بسلطانه (قراراته نهائية) وقدرته الكاملة (قادر على كل شيء)، ينفذ الله ما يشاء. عندما يتكلم الله، تنتهي كل النقاشات والاقتراحات البشرية. وعلى عكس فشل فرعون في الوفاء بوعوده، كانت الضربة الأخيرة، ككل أعمال الله، راسخة بالكامل في نزاهته.

التعليمات: سفر الخروج، الإصحاح ١٢ (مختصر)

١- قال الرب لموسى وهارون في أرض مصر...

٢- قولا لجميع جماعة إسرائيل: في اليوم العاشر من هذا الشهر، يأخذ كل واحد حملًا لنفسه حسب بيوت الآباء، حملًا لكل بيت.

٣- يكون الحمل بدون عيب، ذكرًا عمره سنة، من الغنم أو الماعز

٤- ويأخذ بعض الدم ويضعه على قائمتي الباب وعلى العارضة فوق الباب

لأنني سأجتاز في تلك الليلة أرض مصر، وأضرب كل بكر في أرض مصر، من الإنسان إلى الحيوان، وأدين كل آلهة مصر، فأنا الرب.

٥- ويكون الدم علامة لكم على البيوت التي أنتم فيها، وعندما أرى الدم أعبر عنكم، ولا يكون عليكم ضربة تهلككم عند ضرب أرض مصر.

٦- فذهب بنو إسرائيل وفعلوا هكذا، كما أمر الرب موسى وهارون، هكذا فعلوا.

هل لاحظت يومًا كيف تتغير التعليمات غالبًا أثناء انتقالها عبر سلسلة القيادة؟

(تمامًا مثل تلك اللعبة التي كان الأطفال يستمتعون بلعبها، المسماة "التليفون")

يميل كل شخص يستلم التعليمات إلى إضافة تعديل طفيف أو "لمسة خاصة" على ما استلمه..
في بعض الأحيان يكون هذا مفيدًا، فقد لا يكون المصدر الأصلي على دراية بكل التفاصيل.
وفي أحيان أخرى، قد يكون ذلك مميتًا.
الله يعلم كل الحقائق دائمًا. تعليماته لا يجوز أبدًا أن تُحرّف، أو تُعدل، أو تُهمل. لاحظ أن موسى وهارون نقلوا التعليمات التي أعطاهم إياها الرب بدقة تامة. كان الأمر مسألة حياة أو موت.

حمل الفصح

كما لاحظنا، لم تكن تعليمات عيد الفصح مجرد محددة، بل كانت ذات معنى عميق. كان حمل الفصح مميزًا جدًا، ذكرًا عمره سنة، بلا عيب. التعليمات بـ"في اليوم العاشر من هذا الشهر" تشبه تجسد المسيح. والثلاثة أيام التي راقبوا فيها الحمل للتأكد من كماله تشبه فترة الخدمة العلنية للمسيح.

في يوم الفصح في سنة ١٤٤١ قبل الميلاد، ذبح كل بيت الحمل، وهو ما يرمز إلى تضحية المسيح المستقبلية وموته على الصليب. الذين أطاعوا تعليمات الله تمامًا نجوا من الهلاك.
ومنذ ذلك الحين، احتفل إسرائيل سنويًا بعيد الفصح لتخليد ذكرى خلاص الله العظيم. وكان هذا الاحتفال فريدًا لأنه يذكّر بحدث لم يحدث بعد؛ وهو موت المسيح على الصليب، الذي بدونه لا يمكن أن يكون هناك خلاص.

دم الحيوان

ابتداءً من سفر التكوين وطوال الكتاب المقدس، كانت ذبائح الحيوانات نوعًا من صورة "حمل الله الكامل الذي يرفع خطية العالم" (يوحنا ١: ٢٩).
في العهد القديم، كان نظام ذبائح الحيوانات دائمًا يُصوّر عمل الخلاص المستقبلي للمخلّص. في هذه الحالة، كان يجب طلاء دم الذبيحة "على قائمتي الباب والعتبة فوق الباب". كل بيت اتبع هذا التعليم كان محميًا من وطأة الضربة. على هذا الأساس، وُلدت أمة ذات صورة بسيطة للخلاص والأمان الأبدي. في تلك الليلة، أكل كل بيت إسرائيلي لحم الحمل المشوي.
الأكل لا يُعتبر عملًا يستحق، كما أن الإيمان ليس عملًا يُكسب الخلاص.

اللحمة المشوية مثلت عمل المسيح على الصليب، حيث تلقى حكم خطايا الجنس البشري. في تلك الليلة، في كل بيت لم يُوجد فيه الدم، قتل الرب البكر وكل "بكر في أرض مصر، من الإنسان إلى الحيوان". لاحظ أن الدم كان ضروريًا، والإيمان كان كافيًا للخلاص.
الله قد وفر كل شيء. هذه هي النعمة بكل ما تعنيه الكلمة!

دم المسيح

نظرًا لكثرة سوء الفهم والعقائد الخاطئة، من المهم أن نحدد مصطلحاتنا من البداية ببيان عقائدي واضح. من الضروري أن نفهم أن "دم المسيح" يشير تحديدًا إلى الموت الروحي الكفاري البديل لربنا الكامل بلا خطيئة يسوع المسيح على الصليب. فيما يتعلق بالصليب، يُستخدم الدم دائمًا كاستعارة روحية، وليس بالمعنى الحرفي أو الفيزيائي. لا توجد قوة في دم المسيح المادي.

لم ينزف المسيح حتى الموت، ولم يجمع ملاك دمه في وعاء ليملأ نافورة في السماء. كل هذه الأفكار لا أساس لها في الكتاب المقدس. نسمع أحيانًا عبارة "التوسل بالدم" وكأنها صيغة غامضة للحماية أو الغفران، لكن لا يوجد أي أساس كتابي لهذا الكلام الديني الغامض.

معاناة بولس

"سُجنت، وُجلدت مرات لا تُحصى، وكثيرًا كنت في خطر الموت
خمس مرات تلقيت من اليهود تسعًا وثلاثين جلدة.
ثلاث مرات تعرّضت للضرب بالعصي، مرة واحدة رُميت بالحجارة،
ثلاث مرات غرقت في السفينة، قضيت ليلة ويومًا في البحر العميق.
كنت في رحلات كثيرة، في أخطار من الأنهار،
وأخطار من اللصوص، وأخطار من قومه، وأخطار من الأمم،
وأخطار في المدينة، وأخطار في البرية، وأخطار في البحر،
وأخطار من الإخوة المزيفين".
(٢كورنثوس ١١: ٢٣ب-٢٦)

هل سجّل الكتاب المقدس في أي موضع أن أحدًا توسّل بالدم؟
هل فعل أي شخص في الكتاب المقدس هذا؟
أقرب ما يمكننا أن نعتبره "نعم" هو ما ورد عن شهداء الضيقة في رؤيا ١٢: ١١
فهم غلبوا المُشتكي، أي الشيطان، بواسطة:
١- الدم،
٢- الكلمة،
٣- واستعدادهم للموت بدلًا من طاعة الشيطان.

لكن "الدم" هنا يشير إلى **الموت الروحي البدلي** للمسيح على الصليب، وهو الذي يُخلّص المؤمنين في عصر الكنيسة أيضًا من المحبط أن نرى إلى أي مدى انغمس بعض المؤمنين في هرطقة الدين!

قبل الصليب، واجه الناسوت البشري للمسيح معاناة لا يستحقها أكثر من أي إنسان آخر. وقد واجه هذه المعاناة بقوة الروح القدس وتعاليم الكتاب. لكن أيًّا من تلك الآلام بما في ذلك الجلد

والنزيف لم تكن مرتبطة بتوفير الخلاص العظيم لنا. ولا شيء من تلك الآلام يُقارن بما تحمّله حين حُكم عليه بسبب خطايا العالم على الصليب.

في محاكمته السادسة، وبأمر من بيلاطس، جُلد المسيح بوحشية باستخدام سوط روماني (**mastix**) ووُضع على رأسه تاج من الشوك (يوحنا ١٩: ١-٣)
كان من بين أدوات التعذيب فرك الملح في الجروح المكشوفة لزيادة الألم وتخثير الجراح. ووفقًا لإشعياء، فإن شكله تشوّه إلى درجة أن مظهره لم يعُد يُعرَف كإنسان، ومع ذلك لم يمت: "كما اندهش منك كثيرون - كان منظره مشوَّهًا أكثر من الرجل، وصورته أكثر من بني آدم " (إشعياء ٥٢: ١٤).

نزف دمه عندما ثُقبت يداه ورجلاه وسُمّرت على الصليب، لكنه لم يمت بعد.
(حتى تلك اللحظة، لم يكن خلاصنا قد اكتمل)

وعندما كان جسده المشوّه معلقًا على الصليب، آمن أحد المجرمين المُصلوبين معه بالمسيح وحده، ووعده الرب أن يكون معه في الفردوس في ذلك اليوم ذاته. حوالي منتصف النهار، أظلمت الشمس وظلّت الأرض كلها في ظلمة خارقة للطبيعة (لوقا ٢٣: ٤٤).
خلال الساعات الثلاث التالية، حمّل الله الآب كل خطايا البشر عبر التاريخ—بما في ذلك خطاياي وخطاياك، خطايا المؤمنين وغير المؤمنين—إلى جسد ابنه البريء، ودانه نيابة عنّا.
لقد تألم المسيح بدلًا عنّا، ودفع ثمن خطايانا بالكامل. أي استحقاق نمتلكه لما فعله من أجلنا؟
لقد تنبأ إشعياء بعمق ما تحمّله المسيح: "وهو مجروح لأجل معاصينا، مسحوق لأجل آثامنا" (إشعياء ٥٣: ٥)

ورغم كل شيء، ظلّ المسيح كاملًا بلا عيب. لم تدخل مرارة واحدة إلى نفسه وهو يتألم بديلًا عنّا. هذا هو "دم الحمل الذي بلا عيب ولا دنس"—أي موته الروحي البديل. وكانت دينونة خطايانا عليه هي ما دفعته للصراخ في ألم:

"إيلي، إيلي، لما شبقتني؟" أي "إلهي، إلهي، لماذا تركتني؟" (متى ٢٧: ٤٦).

بالطبع، كان يعرف السبب. كان على الآب أن يتركه لحظة دينونة خطايانا، لكي يُحسب لنا بره الكامل عند التجديد. وهو لا يزال حيًّا، صرخ: "تِتَلِستَاي"! (يوحنا ١٩: ٣٠) (باليونانية، زمن تام: "قد أُكمل في الماضي بنتائج دائمة")

عندها اكتمل موته الروحي ثم صرخ بصوت عظيم وقال:

"ولما قال هذا، أسلم الروح" "أيها الآب، في يديك أستودع روحي"

(لوقا ٢٣: ٤٦)

لقد مات المسيح مرتين على الصليب: أولًا موتًا روحيًا، ثم جسديًا. فما الذي "اكتمل إلى الأبد"؟ كل ما هو ضروري لخلاصنا. الخلاص هو ميراث موته الروحي. وبعد وقت قصير، اكتشف

سكان أورشليم أن الله قد شقّ حجاب الهيكل الي قسمين (ارتفاعه نحو ١٨ مترًا، عرضه ٩ أمتار، وسماكته ١٥ سم).
لم يعد قدس الأقداس مغلقًا، لأن الحاجز بين الله والإنسان قد أُزيل بموتي المسيح على الصليب.
لم يسجّل لوقا العبارة الكاملة التي قالها يسوع عند موته الجسدي، لكنها موجودة في (مزمور ٣١: ٥): "في يديك أستودع روحي؛ فديتني يا يهوه، إله الحق". نعم، التعليم الكتابي هو الميراث الروحي لموته الجسدي.

الإنجيل

نظرًا لأن غير المؤمن ميتٌ روحيًا، وعاجز عن فهم الإنجيل والتعليم (١كورنثوس ٢: ١٤)، فإن الله الروح القدس هو من يوضح الإنجيل له. فليس المنطق المُتقَن أو الحجج الذكية، بل الروح القدس هو الذي يُقنع غير المؤمنين بأن خيارهم هو الأهم.

الخطيئة التي لا تُغتفر، وهي خطيئة عدم الإيمان، تُبقي الإنسان مفصولًا عن الله إلى الأبد (يوحنا ١٦: ٨-٩). ومع ذلك، يضمن الله أن كل من لديه إرادة إيجابية، بغض النظر عن مكانه الجغرافي، سيسمع بالإنجيل، ليكون له حرية قبوله أو رفضه.

كل المؤمنين في عصر الكنيسة هم سفراء للمسيح (٢ كورنثوس ٥: ٢٠أ). وعلى من يعرف التعليم الصحيح أن يعلنه للعالم التائه والمُحتضر. يجب على المؤمن أن يكون دائم الاستعداد، دون أن يجعل من نفسه أو من أي شخص آخر محورًا للرسالة، بل أن يُبقي التركيز دومًا على شخص يسوع المسيح، الكلمة المُحيية.

"الروح هو الذي يُحيي، أما الجسد فلا يُفيد شيئًا؛ الكلام الذي كلمتكم به هو روح وحياة" (يوحنا ٦: ٦٣).
فأجاب سمعان بطرس وقال له: "يا رب، ... عندك كلمات الحياة الأبدية. وقد آمنا وعرفنا أنك أنت قدوس الله" (يوحنا ٦: ٦٨-٦٩).

الخلاص: الآلية

الخلاص أمر بسيط، وواضح، وسهل الفهم. "لأنه إن لم تؤمنوا أني أنا هو (المخلّص)، تموتون في خطاياكم" (يوحنا ٨: ٢٤).
"آمن بالرب يسوع المسيح فتخلُص" (أعمال الرسل ١٦: ٣١).

الإيمان وحده بالمسيح وحده!
من يعلّم بأي شيء خلاف ذلك -مثل من يربط الخلاص بالأعمال أو بأي جهد بشري- فهو ملعون (غلاطية ١: ٨).

الخلاص هو احتكار إلهي حصري: "للرب الخلاص" (مزمور ٣: ٨أ).
و"خلاصي إلى الأبد يكون" (إشعياء ٥١: ٦ب).

بعبارة أخرى، من يُحرّف الإنجيل كأنه يقول إنه يعرف أفضل من الله - وهذا تجديف!
إذا أضفتَ أي شيء إلى الإيمان وحده بالمسيح وحده، فأنت لست مخلَّصًا! لا يمكن إضافة شيء إلى عمل المسيح الكامل على الصليب. ومع ذلك، لا يزال الشيطان يحقق نجاحًا مذهلًا على المستوى الفردي. فكلما انخدع شخص بفكرة أن "الإيمان زائد شيء ما" أفضل من الإيمان وحده بالمسيح، فإن الشيطان ينتصر.

لحظة الخلاص

في اللحظة التي يؤمن فيها الإنسان ببساطة بالمسيح -سواء كان جالسًا، أو واقفًا، أو يمشي، أو مضطجعًا، أو راكعًا؛ سواء كان في سيارة، أو طائرة، أو مسبح، أو سرير مستشفى؛ سواء كان في كنيسة، أو حانة، أو على الشاطئ، أو في البيت- فلا فرق! تحدث معجزة الحياة الأبدية في الحال! لا تدع أحدًا يخدعك ويقول لك إن الخلاص يتطلب وضعية جسدية معينة أو مكانًا مقدسًا. تذكّر، الأمر كله يتعلق بـ الإيمان فقط.
الله يقبلك كما أنت، حيثما كنت، بسبب من هو المسيح وما فعله لأجلك. الخلاص هو مصطلح شامل يتضمّن ما لا يقل عن أربعين أمرًا روحيًا يحدث لكل مؤمن لحظة الإيمان. ولا يُرى أي من هذه الأمور بالعين أو يُحس بالجسد.

(القائمة الكاملة موجودة في كتابنا: العقيدة الكتابية للخلاص)

فيما يلي، نستعرض بعضًا من عناصر "خلاصنا العظيم جدًا..." (عبرانيين ٢: ٣)

١- غُفرت جميع خطايا المؤمن وآثامه:

"كل من يؤمن به ينال غفران الخطايا" (أعمال الرسل ١٠: ٤٣ب).

٢- يُمنح للمؤمن روح إنسانية جديدة

في عملية "الولادة الجديدة"، يحوّل الروح القدس الإنسان غير المؤمن الثنائي التكوين (جسد ونفس) إلى مؤمن ثلاثي التكوين (جسد، نفس، وروح).

"المولود من الجسد جسد هو، والمولود من الروح هو روح" (يوحنا ٣: ٦).

٣- يُحسب المؤمن بارًا:

الله ينسب برّه الذاتي إلى المؤمن:

"برّ الله بالإيمان بيسوع المسيح، لكل الذين يؤمنون، إذ لا فرق" (رومية ٣: ٢٢).

٤- يُبرَّر المؤمن (أي يُعلَن بارًا):

"متبررين مجانًا بنعمته، بالفداء الذي بيسوع المسيح" (رومية ٣: ٢٤).
"فإذ قد تبررنا بالإيمان [وحده]، لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح" (رومية ٥: ١).
الله، من محكمته العليا في السماء، يبرّئ المؤمن إلى الأبد! ويُعفى من دينونة بحيرة النار.
"إذًا لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع" (رومية ٨: ١).

خدمة الخلاص التي يقوم بها الروح القدس

من المُهين لله أن يقوم المؤمن بالصلاة طالبًا الروح القدس.
"أما تعلمون أنكم هيكل الله، وأن روح الله يسكن فيكم؟" (١ كورنثوس ٣: ١٦).
"أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذي فيكم، الذي لكم من الله، وأنكم لستم لأنفسكم؟" (١ كورنثوس ٦: ١٩).
من الواضح أن كثيرين يفتقرون إلى هذه الثقة الروحية. فكل مؤمن في عصر الكنيسة نال بالفعل في لحظة الخلاص:

معمودية الروح القدس، سُكنى الروح القدس فيه، ختم الروح القدس له، موهبة (أو مواهب) روحية، وامتلاءً بالروح القدس.

ويجب أن نكون واضحين تمامًا
منذ يوم الخمسين (سنة ٣٠ ميلادية) وحتى ما يُعرف بـ"الاختطاف" أو القيامة النهائية للكنيسة، كانت الولادة الروحية (التجديد) ومعمودية الروح القدس دائمًا متزامنتين وغير قابلتين للفصل. فكل من وُلِد من الله، يُعمد في ذات اللحظة بالروح القدس إلى جسد المسيح، أي الكنيسة
الأمر بسيط جدًا ـــ لكنه لم يكن كذلك دائمًا في بداية عصر الكنيسة.

*أربع مجموعات نالت معمودية الروح القدس بعد نوال الخلاص:

١- اليهود في أورشليم (أعمال الرسل ٢).
٢- اليهود المختلطون بالأمم عرقيًا في السامرة (أعمال ٨: ١٢-١٧).
٣- الأمم في قيصرية (أعمال ١٠-١١).
٤- أتباع يوحنا المعمدان غير المتعلمين في أفسس (أعمال ١٩).

في أعمال الرسل ١٩: ٢، سأل الرسول بولس سؤالًا جوهريًا يُظهر أن الروح القدس يُمنح عند الإيمان بالمسيح: "هل نلتم الروح القدس حين آمنتم؟"
فأجابوه: "بل لم نسمع أنه يوجد روح قدس!"

من جوابهم، أدرك بولس فورًا أن هؤلاء المؤمنين لم يتّحدوا بعد بالمسيح. هل يبدو لك ذلك غريبًا؟ في الواقع، هؤلاء كانوا تلاميذ ليوحنا المعمدان. هم آمنوا بـ المسيّا الآتي، ولكنهم لم يكونوا حاضرين يوم الخمسين، حين نال الرسل والمؤمنون الآخرون معمودية الروح القدس.

بعد هذه الفترة الانتقالية القصيرة من تدبير الاتحاد الأقنومي (الفترة التي كان فيها المسيح على الأرض) إلى بداية عصر الكنيسة (من يوم الخمسين إلى قيامة الاختطاف)، لم تعد هناك أي حُجّة لأي مؤمن أن يطلب الروح القدس. فمعمودية الروح، وسُكنى الروح، وخَتم الروح، والمواهب الروحية، وامتلاء الروح، كلها جزء من حزمة الخلاص العظيم التي يمنحها لكل مؤمن.

في حين أن معمودية الروح، وسُكنى الروح، وخَتمه، والمواهب الروحية التي يمنحها هي أمور دائمة لا تُنتزع، فإن امتلاء الروح فقط هو ما يُفقد عندما يخطئ المؤمن. لكن يمكن استعادته من خلال تطبيق (١ يوحنا ١: ٩). ومتى عدت إلى الشركة مع الله، فإن امتلاء الروح يعود تلقائيًا. لذلك، يجب أن نكون واضحين تمامًا بأنه لا يمكنك أن تطلب من الله امتلاء الروح القدس تحت أي ظرف. إذا كنت خارج الشركة مع الله، فالطريقة الوحيدة لاستعادة امتلاء الروح وحياتك الروحية هي بالاعتراف بخطاياك لله الآب.

الوقود الروحي

لقد فحصنا عن كثب حالة الإنسان قبل الخليقة. وتعلمنا أن الإنسان لا شيء دون نعمة الله، ودرسنا نعمة الله تجاه إبراهيم. كما لاحظنا دفاع الرسول بولس القوي عن إيمان إبراهيم بالمسيح وحده كـالوسيلة الوحيدة لعلاقة أبدية مع الله الآب، والابن، والروح القدس — وهي الطريقة الوحيدة المتوافقة مع النعمة!

لقد سمعنا تأكيد بولس القاطع أن الخلاص، الذي يبدأ بالنعمة، لا يمكن أن يكون مشروطًا بالأعمال التي تتبع! دعونا نحاول توضيح خطأ الاعتقاد بأن خطة الله تشمل "فعل الخير البشري" محرك السيارة يستمد طاقته من وقود مكرر عالي الجودة، كالبنزين يمكنك رؤية المحرك، وقراءة مواصفاته، ورؤية سيارات أخرى تتحرك في الشارع، ولكن محركك لن يأخذك إلى أي مكان دون وقود. كذلك، فإن القدرة الروحية — كوقود لنفس المؤمن — لا تأتي إلا من تدبير نعمة الله، ولا يوجد فيها نقص أو ارتفاع في الأسعار!

ماذا لو صبّ شخصٌ مقدار رطل من السكر في خزان وقود سيارتك؟ (تحذير: لا تحاول هذا ابدا).

السكر قد يكون مصدر طاقة لجسدك، لكنه لا يصلح أبدًا كمصدر طاقة لمحرك سيارة.

ما الذي تعتقد أنه سيحدث للمحرك؟

المُبخِّر، الذي يحوّل الوقود السائل إلى بخار شديد الاشتعال، سيُغطى بسرعة بجزيئات السكر المتبلورة، فيُفصل المحرك عن مصدر قوته. وبالتالي، لن تتحرك السيارة إلى أي مكان إلا إذا دفعتها أو جررتها يدويًا!

والآن، تأمل آلاف الأشخاص الذين، بعد الخلاص، يقررون أن نعمة الله ليست كافية تمامًا. في البداية، يضيفون بعضًا من الجهد البشري، وحين يبدأ المحرك بالتعثّر، يظنون خطًا أن الحل هو إضافة المزيد من الجهد. لقد خرجوا فعليًا من السيارة وبدؤوا يدفعونها لكن مع كل هذا الدفع، إلى أين يتجهون؟ بالتأكيد، ليس إلى حيث يريدهم الله أن يذهبوا.

لقد تم حجب قدرة الله في حياتهم بسبب "فعل الخير البشري" — أي السكر في المحرك الروحي. وكما أن محرك السيارة لا يعمل بالسكر، فإن خطة الله لا تعمل بالأعمال البشرية. لهذا السبب ألهم الله الرسول بولس أن يرفض بهذه الحدة بدعة التقديس بالأعمال التي ظهرت في غلاطية. فكتب: أيها الغلاطيون الأغبياء، [وتعني هنا: بلا فطنة روحية]، من الذي سحركم [قادكم إلى تعليم زائف]؟ أريد أن أعرف شيئًا واحدًا منكم: هل نلتم الروح القدس [عطية نعمة عند الخلاص] بأعمال الناموس [بأنكم عملتم لأجل الخلاص]، أم بالإيمان [الإيمان فقط، بلا أي إضافة] بما سمعتم [رسالة الإنجيل البسيطة]؟ أأنتم بهذا الغباء؟ بعدما بدأتم بالروح [عطية نعمة الروح القدس]، أتكملون الآن بالجسد [بالجهد البشري]؟"

(غلاطية ٣: ١–٣ – الترجمة بحسب المعنى من النسخة الدولية الحديثة)

وفي نفس السياق، تابع قائلًا:

فكّروا في إبراهيم: "آمن بالله [الابن كما أعلن نفسه لإبراهيم]، فحُسب له إيمانه [الإيمان وحده دون إضافة] برًا". فافهموا إذًا أن الذين يؤمنون هم أولاد إبراهيم. وقد سبق الكتاب، إذ رأى أن الله سيُبرّر الأمم بالإيمان [فقط]، فبشّر إبراهيم مقدمًا قائلًا: ‘فيك تتبارك جميع الأمم
إذًا، الذين هم من الإيمان [الإيمان وحده بالمسيح وحده] يُبارَكون مع إبراهيم المؤمن. أما الذين يعتمدون على أعمال الناموس [أي الخلاص بالأعمال]، فهم تحت اللعنة [ما زالوا غير مؤمنين]". (غلاطية ٣: ٦–١٠أ – النسخة الدولية الحديثة).

المؤمنون اليوم هم أحفاد إبراهيم الروحيون، وقد نالوا الخلاص بنفس الطريقة التي نال بها إبراهيم خلاصه.
فالروح القدس يمدّ يده من زمن بولس عبر ألفي عام ليطرح نفس السؤال على "اليهوديين الجدد" المعاصرين — أولئك الذين يعلّمون الخلاص بالأعمال. كيف تبدأ بالنعمة ثم تنتقل إلى الأعمال؟

كان إبراهيم مثالًا لمعيار الله للخلاص في كل جيل. —الإيمان وحده بالمسيح وحده
ويستحق هذا أن نكرره:
كل من يختار أن يضيف أي نوع من الأعمال إلى الإيمان البسيط لأجل الخلاص، يبقى غير مؤمن — ومنفصلًا عن الله. قد يبدو هذا متطرفًا، ولكن تأمل في كلمة الله:

"فماذا نقول؟ إن الأمم الذين لم يسعوا إلى البر [بر الله]، نالوا البر — البر الذي بالإيمان ولكن إسرائيل [شعب الله المختار]، وهو يسعى إلى ناموس البر [الخلاص بالأعمال]، لم يدرك ناموس البر ولماذا؟ لأنه لم يسعَ إليه بالإيمان، بل كأنه بالأعمال"
(رومية ٩: ٣٠–٣٢أ، الترجمة بحسب المعنى من النسخة الدولية الحديثة)

فكيف يمكن لشخص يفهم هذه الحقيقة البسيطة أن يرفضها؟
بكلمة واحدة: الكبرياء!

فبعض الناس يرفضون هذه الحقيقة لأسباب شخصية، لأنها تُلقي بظلال من الشك على خلاص أصدقائهم وأفراد عائلاتهم الذين رحلوا بالفعل. وآخرون يرفضونها بشكل علني. وحين يواجهون بالحقيقة، يقول هؤلاء المعلّمون الكذبة: "لو فهم الناس أن الخلاص بسيط وأبدي، لَعاشوا في الخطيئة"

أنا أعرف قسيسًا في طائفة معينة يرفض تعليم عقيدة الأمان الأبدي، رغم أنه يؤمن بها شخصيًا. لكنه يقول إنه لا يستطيع أن يُعلّم بما يؤمن به، لسببين:
أولًا، لأنه يخاف أن يخسر وظيفته.
وثانيًا، لأنه يخشى أن يشجع جماعته على العيش في الخطيئة.

لكن من يعتنقون التعليم الكاذب، سيواجهون عدالة المحكمة العليا في السماء!
فالله لم يكن يومًا بحاجة إلى مساعدة أحد — لا في الماضي، ولا في الحاضر، ولن يحتاج أبدًا!

سواء في التأديب أو البركة، يتعامل الله معنا بالنعمة — وهي سياسة لم ولن تتغير. هل تذكر ما حدث لعُزّة عندما مدّ يده ليُمسك تابوت العهد أثناء نقله إلى أورشليم؟ لقد كان يحاول أن "يساعد"، لكنها كانت المرة الأخيرة التي حاول فيها ذلك! عندما ننحرف عن مسار النعمة، فإن الله دائمًا يصحّحنا. [الكلمة اليونانية " اجابيو"] تعني محبة الله غير المتغيرة، قائمة بالكامل على شخصية المعطي. "أما اللذين يحبهم الرب يؤدبهم ويمزق الجلد لكل ابن يقبله". (عبرانيين ١٢: ٦).

الآن نحن مستعدون لنفحص أهم عقيدة محورية في الكتاب المقدس: نعمة الله تجاه شعبه المختار.

الفصل السابع
نعمة الله تجاه إسرائيل

من هم الإسرائيليون؟ وكيف تنطبق نعمة الله على إسرائيل في الزمان وفي الأبدية؟ ما الذي فعلته إسرائيل بالضبط لتستحق مكانة خاصة في خطة الله؟ ولماذا كانت هذه الأمة الصغيرة مصدرًا **للناسوت** الذي تجسّد فيه ربنا يسوع المسيح؟

قبل أن نجيب عن هذه الأسئلة، دعونا نراجع تعريف النعمة:

"إحسان يُقدَّم دون توقّع أي مقابل؛ عطية نابعة بالكامل من لطف الله ومحبته، تجد دافعها الوحيد في سخاء المُعطي وكرمه؛ وهي فضل غير مكتسب ولا مستحق".
وسنرى أن نعمة الله تجاه إسرائيل لا علاقة لها بأي استحقاق بشري.

إسرائيل التاريخية: البداية

مدينة أور (حوالي ٢٠٦٠ ق.م)، الواقعة على ضفاف نهر الفرات، على بُعد حوالي ٢٠٠ ميل من الخليج الفارسي، كانت مسقط رأس أبرام. وُلد أبرام كأممي، لكنه كان سيصبح أول فرد في سلالة عرقية جديدة. نشأ، وتزوج، ثم انتقل مع عائلة والده إلى حَران، وهي بلدة تقع على بُعد حوالي ٢٠٠ ميل من الزاوية الشمالية الشرقية للبحر الأبيض المتوسط.

بعد وفاة والده في حَران، أمر الله أبرام (الذي كان لا يزال بلا أبناء) أن يغادر حَران إلى مكان يَعِده الله فيه بـ أرض ونسل وبركة. نجد المرحلة الأولى من الرحلة الاستثنائية التي بدأها أبرام بالإيمان في سن الخامسة والسبعين، موضّحة في سفر التكوين الإصحاحات ١٢ إلى ١٦.
وعلى الرغم من فشل أبرام في بعض المواقف، فقد جعل الله من سنته التاسعة والتسعين سنة مفصلية.

فأبرام أبٌ لسلالة عرقية جديدة، طاعةً لأمر الله، ختن نفسه، وفي تلك اللحظة أصبح أول يهودي في التاريخ. وأصبح اسمه "إبراهيم"، في حين أصبح اسم زوجته "ساراي" — التي بلغت ٩٠ عامًا — "سارة". ولم يكن التغيير في الأسماء فقط، بل إن الله أيضًا أعاد إليهما القدرة الجسدية على الإنجاب. وبعد عام، أنجبت سارة ابنها الأول، وسماه الله إسحاق، أي "ضحك" (تكوين ١٧–٢١).
وكان إسحاق هو الابن الموعود والوريث. توفيت أمه، سارة، عندما كان عمر إسحاق ٣٨ سنة.

تزوج إسحاق من رفقة بعد عامين، ولكن لم يُرزقا بتوأميهما(يعقوب وعيسو) الا عندما بلغ اسحق الستين من عمره (تكوين ٢٢–٢٥).

بعد وفاة سارة، تزوج إبراهيم من قطورة وأنجب منها ستة أبناء: زمران، يقشان، مدان، مديان، يشباق، وشوحا. هؤلاء، إلى جانب إسماعيل (ابن إبراهيم من الزنا)، وعيسو حفيده، أصبحوا آباءً للقبائل العربية.

وعندما توفي إبراهيم عن عمر ١٧٥ سنة، كان حفيده يعقوب في سن الخامسة عشرة. وعندما أصبح يعقوب رجلًا، انتزع البكورية بدهاء من أخيه ليصبح الوارث للوعد. وكان يوسف ابنه المُفضّل — يبلغ من العمر تسع سنوات في السنة المئة من حياة يعقوب. وفي تلك السنة، وبعد مصارعة مُذلة طوال الليل مع ابن الله، غيّر الله اسم يعقوب إلى إسرائيل، أي "الذي يُجاهد مع الله" (تكوين ٣٢).

وقد باعه إخوته الغيورون لتجار نقلوه إلى مصر. وبنعمة الله، أعد يوسف مصر لمجاعة عظيمة، وهي المجاعة التي أدت في نهاية المطاف إلى لمّ شمله بأسرته.
وقد أصبح يوسف وإخوته الأحد عشر آباء أسباط إسرائيل، ثلاثة عشر سبطًا بالمجمل. بما في ذلك حصة يوسف المزدوجة، ممثلة في نصفي السبطين: أفرايم ومنسى.

<u>نعمة الله هي بركة إسرائيل</u>

"وأجعلك [إبراهيم] أمة عظيمة [إسرائيل]، وأباركك، وأُعظم اسمك، وتكون بركة."

(تكوين ١٢: ٢)

لقد قطع الله هذا العهد مع إبراهيم وذريته دون شروط. فلو كان الوعد مشروطًا باستحقاق بشري، ما كان ليكون نعمة! وقد تم تكرار الوعد بعد وفاة إبراهيم:

وظهر له [إسحاق] الرب وقال: "أنا إله إبراهيم أبيك، لا تخف لأني معك، وأباركك، وأكثر نسلك من أجل إبراهيم عبدي". (تكوين ٢٦: ٢٤). لاحظ أن وعد الله لإسحاق ولذريته كان من أجل إبراهيم. وماذا فعل إبراهيم ليكسب بركة الله على نسله؟ لا شيء.

ففي كامل الكتاب المقدس، لا يوجد أي دليل على أن إبراهيم فعل شيئًا سوى أن مارس إيمانًا غير قائم على الاستحقاق بالمسيح! ثم لاحظ أن هذه الوعود تمتد إلى أُناس لم يولدوا بعد! فما الذي كان يمكنهم فعله ليستحقوا هذه البركة؟ لا شيء.

ليس من محبتكم [يا إسرائيل] لكم، ولا من كثرة عددكم بين الشعوب، اختاركم الرب، لأنكم أقل من جميع الشعوب" (تثنية ٧: ٧).

وقد تكاثرت إسرائيل خلال إقامتها في مصر — حتى أصبحت تفوق مضيفيها عددًا — فقام ملك جديد لم يعرف يوسف، فاستعبد الشعب ومع ذلك، حتى وهم في العبودية، أظهر الله نعمته للأمة الناشئة. في علمه المُسبق، وسلطانه، وغايته الأبدية، ونعمته، قطع الله عهدًا ليبارك

إبراهيم وأسرته بشكل خاص. لم يكن هذا القرار السيادي قائمًا على أي صفات خاصة في أي فرد من العائلة، بل كان قائمًا بالكامل على أمانة الله.

والقضية الروحية الوحيدة كانت: الإيمان غير المستحق بشخص المسيح

فهم العقائد المرتبطة بنعمة الله تجاه إسرائيل بشكل شامل يتطلّب دراسة دقيقة لكلا العهدين من كلمة الله المعصومة التي لا تخطئ فالكتاب المقدس يفرّق بين إسرائيل من حيث:

- العِرق
- الديانة
- والإحياء الروحي (المولودين ثانية).

ولكن ليس أن كلمة الله قد سقطت. لأن ليس جميع الذين من إسرائيل هم إسرائيليين. ولا لأنهم من نسل إبراهيم، هم جميعًا أولادًا، بل: بإسحاق يُدعى لك نسل
"أي ليس أولاد الجسد هم أولاد الله، بل أولاد الموعد يُحسبون نسلًا" (رومية ٩: ٦–٨).

كل الذين أخرجهم الله بمعجزة من عبودية مصر كانوا قد وُلدوا ثانية بالإيمان وحده بالمسيح وحده. لكن، تحت الاختبار الإلهي في البرية، أظهروا نقصًا في النمو الروحي، وضعفًا في التقدّم الروحي، وعدم القدرة على استخدام حريتهم الجديدة، من خلال فشلهم المتكرر في الثقة بالله وتطبيق التعليم الكتابي. حتى بلغ الأمر حدًا كان الله فيه مستعدًا أن يبدأ من جديد.

وقال الرب لموسى:

"قد رأيت هذا الشعب [إسرائيل]، وها هو شعب صُلب الرقبة [عنيد، قاسي الرأس، يصعب رعايته ويصعب قيادته].
والآن، دعني وحدي [وأنت ارجع إلى أسفل الجبل]، ليحمى غضبي عليهم وأفنيهم؛ وسأجعل منك [يا موسى] أمة عظيمة". (خروج ٣٢: ٩-١٠).

لاحظ أن الله لم يغضب أبدًا. -ولا حتى مرة واحدة- فالغضب خطيئة
فلماذا يقول الكتاب إن الله كان غاضبًا؟
هذا يُعرف بـالتشبيه العاطفي الإنساني وهناك العديد من هذه الأمثلة في الكتاب المقدس، وكلها موحى بها إلهيًا. فهي تنسب لله صفة بشرية لا يمتلكها ولا يمكن أن يمتلكها، وذلك لتوضيح سياسة الله الإلهية بأسلوب يفهمه الإنسان بسرعة.

والآن، لنعد إلى اقتراح الله. أي شخص عادي قد يرى في هذا العرض فرصة مغرية جدًا تمجّد الأنا، لكن ليس موسى. فهو لم يكن يفهم النعمة فقط، بل امتلك أيضًا كل صفات القائد العظيم: التواضع، احترام السلطة، الولاء، والنزاهة.

لقد كان موسى مخلصًا ليس فقط لله وخطته، بل أيضًا لمن أوكله الله إليهم ليعلّمهم ويقودهم. فالله قد أمره أن يعلّمهم العقيدة، وأن يقود بني إسرائيل إلى الأرض التي وُعِد بها إبراهيم لذلك، لا عجب أن نرى موسى يتوسل إلى الله ألا يؤذي شعبه.

"فتضرع موسى إلى الرب إلهه، وقال: يا رب، لماذا يجب أن يحمى غضبك على شعبك الذي أخرجته من أرض مصر بقوة عظيمة ويد شديدة".
"والآن، إن شئت فاغفر خطيتهم — وإن لم تفعل، فامحُني من كتابك الذي كتبت"
(خروج ٣٢: ١١، ٣٢).

لقد كان موسى على استعداد للتخلي عن خلاصه إن لم يكن الله سيصفح عن إسرائيل!

وفيما بعد، سننظر في الكيفية التي تعامل بها الله مع بعض من فشل إسرائيل —وكذلك فشل موسى. ولكن أولًا، دعنا نعود قليلًا لنُلقي نظرة أقرب على خلاص الله المُنعِم لشعب إسرائيل من عبودية مصر. الله قاد إسرائيل بالنعمة. "فأدار الله الشعب في طريق برية البحر الأحمر. وصعد بنو إسرائيل من أرض مصر متجهزين للقتال". (خروج ١٣: ١٨).
"وكان الرب يسير أمامهم نهارًا في عمود سحاب ليهديهم في الطريق، وليلًا في عمود نار ليضيء لهم، لكي يمشوا نهارًا وليلًا. لم يزُل عمود السحاب نهارًا، ولا عمود النار ليلًا، من أمام الشعب" (خروج ١٣: ٢١-٢٢).

تلك هي النعمة، إن عمود السحاب والنار لم يكن مُكتسبًا ولا مستحقًا. وكانت تلك النعمة ثابتة نهارًا وليلًا. تخيّل هذا المشهد: أكثر من مليوني مؤمن، مع أغنامهم وماشيتهم، يخرجون من بيوتهم دون أن يعرفوا تحديدًا إلى أين سيأخذهم الله، ولا ما الذي ينتظرهم من أخطار في الطريق.
لكن الله، العليم بكل شيء، أظهر نفسه في العمود كمرشد لهم في الرحلة!
فلا عجب أن موسى وبني إسرائيل أنشدوا قائلين:

"بمحبتك الراسخة تقود الشعب الذي فديته. وبقوتك تهديهم إلى مسكنك المقدس"
(خروج ١٥: ١٣ - ترجمة **N I V**)

وعلى الرغم من أن إسرائيل أخفقت مرارًا، إلا أن الله لم يُخفق في معاملتهم أبدًا!

والآن، دعونا نلقي نظرة على بعض إخفاقات إسرائيل وكيف تعامل الله معها.

الإخفاق الأول: خروج ١٤ – عند البحر الأحمر

"ولما اقترب فرعون، رفع بنو إسرائيل أعينهم، وإذا المصريون قادمون وراءهم، فخافوا جدًا وصرخوا إلى الرب وقالوا لموسى: هل لأنه لم تكن هناك قبور في مصر أخرجتنا لنموت في البرية؟ ماذا فعلت بنا حتى أخرجتنا من مصر؟ أليس هذا ما كلمناك به في مصر قائلين: دعنا نخدم المصريين؟ لأنه خيرٌ لنا أن نخدم المصريين من أن نموت في البرية!"
(خروج ١٤: ١٠-١٢ - ترجمة **N I V**)

استمع إلى السخرية!
فبينما كانوا لا يزالون في مصر، أعدّ الله المسرح لتحرير إسرائيل من خلال سلسلة من عشر معجزات. لكن الآن، أمام أنظارهم جيش مصر المطارد، دبّ الذعر في قلوبهم. لقد نسوا الله، ونسوا وعوده، ونسوا العقيدة التي علّمهم إياها موسى، ونسوا الاستنتاج المنطقي الواضح "إن كان الله قد أوصلهم إلى هذه النقطة، فلن يتخلى عنهم الآن". كان تركيزهم على المشكلة، بينما كان موسى يركز على الحل: الرب.

"فقال موسى للشعب: لا تخافوا! قفوا وانظروا خلاص الرب الذي يصنعه لكم اليوم. فإنكم اليوم ترون المصريين، ولكنكم لن ترونهم أيضًا إلى الأبد. الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون".
(خروج ١٤: ١٣-١٤).

لقد كان نقص إيمانهم في هذه اللحظات الحاسمة يستوجب التأديب — وربما كان من الممكن أن يُؤسَروا فعلًا على يد الجيش المصري. ولكن، هل أُسِروا؟ في خروج ١٤: ٢١-٢٢، نرى أن موسى، بأمر من الله، مدّ يده على البحر؛ فانشقّت المياه، وعبر بنو إسرائيل في وسط البحر على أرض يابسة. هل استحقّوا هذه المعجزة؟ قطعًا لا!

وبعد أن عبروا بأمان، أمر الله موسى أن يمد يده مرة أخرى، فأغلقت المياه، وابتلعت الجيش المصري بأكمله (خروج ١٤: ٢٦-٢٨). وفي ذلك اليوم، خلّص الرب [بمحض نعمته الفائقة] إسرائيل من يد المصريين، ورأى إسرائيل المصريين أمواتًا على شاطئ البحر ولما رأى الشعب اليد العظيمة التي صنعها الرب بالمصريين، "خافوا [احترموا] الرب، وآمنوا بالرب وبعبده موسى". (خروج ١٤: ٣٠-٣١).

كانت درسًا عظيمًا لإسرائيل... ولكن بالنسبة لمعظمهم، سرعان ما سيُنسى.

الإخفاق الثاني: خروج ١٥ – الماء في مارة

"ثم ارتحل موسى بإسرائيل من بحر سوف، وخرجوا إلى برية شور، فساروا ثلاثة أيام في البرية ولم يجدوا ماء وجاءوا إلى مارة، ولم يقدروا أن يشربوا ماء من مارة لأنه مُرّ..ٌ
فتذمر الشعب على موسى قائلين: ماذا نشرب؟"
(خروج ١٥: ٢٢-٢٤ - ترجمة **N I V**).

ثلاثة أيام فقط مضت منذ معجزة البحر الأحمر، وقد نسوا بالفعل كيف أن الله قد دبّر لهم الاحتياج! اختبر الله بني إسرائيل في مارة، لكنهم أخفقوا في الامتحان. فرغم شكواهم وبكائهم وتذمرهم، غلبت نعمة الله، فتحوّلت المياه إلى عذبة.

"فصرخ إلى الرب، فأراه الرب شجرة، فطرحها في الماء، فصار الماء عذبًا"

(خروج ١٥: ٢٥أ).

ومرة أخرى، نجد أن نعمة الله هنا مكتوبة بأحرف كبيرة ومُظللة ومُسطّرة!

الإخفاق الثالث: خروج ١٦ – المنّ في البرية

"فتذمر كل جماعة بني إسرائيل على موسى .... وقالوا: أنكما أخرجتمانا إلى هذا القفر لكي تميتا كل هذا الجمهور بالجوع"!
(خروج ١٦: ٢-٣ب - ترجمة **N I V**)

مرة أخرى، نسي بنو إسرائيل التاريخ الطويل لتدبير الله ـــبما في ذلك المعجزات في مصر، ومعجزة البحر الأحمر، والماء في مارة! فالمعجزات ليست أبدًا الأساس للقوة الروحية. وبغياب العقيدة في نفوسهم، أصبحوا غير منطقيين، وتمنّوا لو أن الله أماتهم في مصر بدلًا من الجوع في البرية! وبحسب المنطق البشري، كان من السهل القول إن الله كان ينبغي أن يتخلى عنهم هناك في البرية.

لكن، لحسن الحظ، نحن لا نحصل أبدًا من عدالة الله على ما نستحقه بالضبط!

فقال الرب لموسى: "ها أنا أمطر لكم خبزًا من السماء فليخرج الشعب ويلتقطوا حاجة اليوم بيومها، لكي أمتحنهم هل يسلكون في شريعتي أم لا".
(خروج ١٦: ٤ - ترجمة **N I V**)

لقد قدّم الله، بنعمته التي تفوق الفهم، السلوى الطازجة كل مساء، والخبز الطازج كل صباح.
(خروج ١٦: ١٣-١٥).

فماذا طلب الله في المقابل مقابل هذا التدبير؟ لا شيء، لكنه وضع بعض القواعد.

كان على بني إسرائيل أن يتعلموا كيف يلتزمون بالتعليمات، لأنهم سيحتاجون لهذا في غزوهم للأرض الموعودة. ولهذا، فإن التعليمات (خروج ١٦: ١٦، ١٩، ٢٣، ٢٦) كانت امتحانًا وتدريبًا في آنٍ واحد.

إحدى هذه التعليمات كانت: أن يجمعوا طعام يوم واحد فقط؛
لكن، "لم يسمعوا لموسى..." (خروج ١٦: ٢٠) بل جمعوا أكثر من الكمية المحددة

فأدانهم الرب بقوله:

"فقال الرب لموسى: إلى متى تأبون أن تحفظوا وصاياي وشريعتي؟" (خروج ١٦: ٢٨).

لقد أخفق بعض اليهود في اتباع تعليمات الرب، لكن نعمة الله لم تخفق معهم. فطوال أربعين سنة، لم يكونوا مستحقين ولا مؤهلين لهذا التدبير النعمي الذي أُطلق عليه المنّ.

الإخفاق الرابع: خروج ١٧ – الماء في رفيديم

"ونزلوا في رفيديم، ولم يكن ماء ليشرب الشعب. فخاصم الشعب موسى وقالوا: أعطونا ماء لنشرب!... لماذا أصعدتنا من مصر لتُمِيتَنا وأولادنا ومواشينا بالعطش؟"
(خروج ١٧: ١ب–٣ - ترجمة **N I V**).

فشل الشعب بوضوح في الوثوق بتدبير الله مرة أخرى، ومع أنهم لم يكونوا مستحقين النعمة على الاطلاق، الا ان الله منحهم الماء مرة أخرى.

أمر الله موسى أن يضرب الصخرة، فخرج منها ماء وشرب الشعب حتى الارتواء (خروج ١٧: ٦).

فقد كتب بولس عن هذه الصخرة الفريدة: تذكّر أن هذه الصخرة التي ضربها موسى كانت رمزًا للرب يسوع المسيح.

"لأنهم كانوا يشربون من صخرة روحية تابعتهم، والصخرة كانت المسيح."

(١كورنثوس ١٠: ٤).

ضرب موسى للصخرة مرة واحدة رمز إلى أن المسيح ضُرب مرة واحدة لأجل خطايا العالم

"فإن المسيح أيضًا تألم مرة واحدة من أجل الخطايا" (١بطرس ٣: ١٨).

هل أنت مستعد لاختبار؟ بناءً على ما درسناه حتى الآن، هل هناك أي عمل صالح قام به بنو إسرائيل ليكسبوا محبة الله وتدبيره؟ الإجابة واضحة: لا

الإخفاق الخامس: العدد ٢٠ – إخفاق القيادة في مريبة

"في الشهر الأول وصل جماعة بني إسرائيل إلى برية صين ... ولم يكن ماء للجماعة، فتذمروا على موسى ... لماذا أخرجتمونا من مصر إلى هذا الموضع الرديء؟! ليس فيه زرع ولا تين ولا كرم ... ولا ماء نشربه!"
(العدد ٢٠: ١–٥ - ترجمة **N I V**).

قد يتساءل البعض: "لماذا لم يتمكن الإسرائيليون من الوثوق بالله ليوم واحد فقط؟"

لكن، هل نحن اليوم أفضل منهم بعد آلاف السنين؟
عندما تواجهك الضغوط، هل تتوقف لتُعدّ بركاتك وتُثبّت ثقتك في الله؟
كم مرة فشلت منذ أن أصبحت مؤمنًا؟
لو كنت قد دوّنت جميع خطاياك وأعمالك البشرية منذ ذلك اليوم، لامتلكت مقياسًا ملموسًا – ولو جزئيًا. – لحجم نعمة الله نحوك

هل اقترفت يومًا خطية لم يغفرها الله؟ بالطبع لا!

لا عجب أن إرميا كتب:

"تتذكر نفسي وتنحني فيَّ... هذا أردّه إلى قلبي، من أجل ذلك أرجو إنها مراحم الرب أننا لم نفنَ، لأن مراحمه لا تزول هي جديدة في كل صباح، عظيمة هي أمانتك."
(مراثي إرميا ٣: ٢٠–٢٣ - ترجمة **N K J**).

لا أحد منا يستحق شيئًا من الله، فضلًا عن الحياة الأبدية معه. فقط نعمة الله هي التي تجعل ذلك ممكنًا. ورغم عظمة موسى، إلا أنه ضاق ذرعًا بتذمّر بني إسرائيل!

فأمره الله قائلًا: "خذ العصا، واجمع أنت وأخوك هارون الجماعة، وتكلما إلى الصخرة أمام أعينهم فتعطي ماءها، فتُخرج لهم ماءً من الصخرة وتسقي الجماعة وبهائمهم.
فأخذ موسى العصا من أمام الرب كما أمره وجمع موسى وهارون الجماعة أمام الصخرة، وقال لهم: "اسمعوا أيها المتمردون! أَنُخرج لكم ماءً من هذه الصخرة؟" ثم رفع موسى يده وضرب الصخرة مرتين بعصاه، فخرج ماء غزير، فشربت الجماعة وبهائمهم.
(العدد ٢٠: ٨–١١ - ترجمة **N I V**).

لقد عصى موسى الله وأخفق في أمرين رئيسيين، لكن يمكن تلخيص إخفاقه بكلمة واحدة: الكبرياء. هل تتذكر عندما ضرب موسى الصخرة في رفيديم؟ لقد كانت درسًا بصريًا يُجسِّد موت المسيح النيابي. على الصليب، قام الله بكل العمل اللازم لتأمين خلاصنا. أما الصخرة في مريبة فكانت صخرة مرتفعة، تمثل المسيح المقام من الموت. وهذه المرة، أمر الله موسى أن يُكَلِّم الصخرة، لأننا اليوم نتكلم إلى المسيح المقام.

ماذا حدث لموسى؟ لقد حوّل نظره عن الله إلى الناس. .وكان رد فعله مفعمًا بالغرور والتجديف هل كان بوسع موسى أن يُخرج الماء من الصخرة كما زعم؟ بالطبع لا! فهذا أمر لا يستطيع أن يقوم به إلا الرب وحده كانت هناك مواقف سمح فيها الله لموسى بتوبيخ بني إسرائيل، لكن هذه لقد تجاوز موسى صلاحياته، متخذًا مكان الله. ظن أنه سيوجّه التوبيخ ويضبط المعارضة، بينما كان الله يريد أن يُعلّم الشعب درسًا عن النعمة. فضربُهُ للصخرة المرتفعة نقل رسالة خاطئة.

ومع ذلك، أظهر الله نعمته: "فخرج ماء غزير، وشربت الجماعة ومواشيهم"
(العدد ٢٠: ١١ب).

وبسبب مركزهما القيادي، أخذ الرب موسى وهارون جانبًا وأعلن لهما العقوبة على انفراد. وكانت العقوبة حرمانهما من دخول أرض الميعاد؛ ومع ذلك، فإن فشلهما لم يُفقدهما الخلاص. لا خطية مهما عظمت تستطيع أن تُلغي خلاصنا العظيم. ورغم أن خطأ هارون قاده إلى الموت، فإن موسى استعاد شركته مع الله واستمر في نموه الروحي. فقد أكمل خطة الله لحياته، وأصبح مؤمنًا منتصرًا:

"وقال الرب لموسى: ... لأنك وجدت نعمة [نعمة غير مستحقة] في عيني"

(خروج ٣٣: ١٢).

كل مؤمن يمتلك فرصة متساوية ليصبح مؤمنًا منتصرًا، من خلال التقدم نحو النضوج الروحي بتحصيل وتطبيق تعاليم الكتاب المقدس. في ضوء هذا العرض العقائدي، نلاحظ المبادئ التالية:

المبدأ رقم ١:
الله يتعامل معنا دائمًا على أساس نزاهته -وهي الأساس لسياسة نعمته- وليس بناءً على أية صفة نملكها نحن. النعمة تُركّز على من هو الله، لا على من نحن. تمنحنا نعمة الله ما لا يمكن أن نكسبه أو نستحقه: بره وحياته الأبدية .وبدونهما، لا يمكن أن نقضي الأبدية مع الله. وبمعزل عن

النعمة، كان سيفنى الجنس البشري بأكمله في بحيرة النار المُعدّة لإبليس وملائكته (متى ٢٥: ٤١). لكن هذا المصير محفوظ فقط لمن يرفضون قبول عطية الله المجانية بالإيمان بالمسيح فقط.

المبدأ رقم ٢:

في الواقع، بعد الموت، لا تُطرح الخطايا أو الفشل كقضية، حتى غير المؤمنين حين يمثلون أمام العرش الأبيض العظيم في نهاية الزمان.

لن يذكر المسيح أية خطية لهم، لأنه دفع ثمنها جميعًا على الصليب. في ذلك اليوم، سيُدانون بناءً على أعمالهم الصالحة (رؤيا ٢٠: ١١-١٥).

ويُوضح الكتاب أن أعمالنا الصالحة في نظر الله كخرق بالية (إشعياء ٦٤: ٦). ولا أحد يملك من البر ما يُؤهله للخلاص أو الحياة الأبدية (رومية ٣: ١٠؛ مزمور ١٤: ١-٣، ٥٣: ١-٣). يجب أن نحمل ذات البر الذي امتلكه المسيح الكامل، لكي نعيش مع الله للأبد (تكوين ١٥: ٦؛ رومية ٤: ٣؛ يعقوب ٢: ٢٣). وهذا البر يُمنح لنا كعطية نعمة في اللحظة التي نتبع فيها نموذج إبراهيم أي الإيمان وحده في المسيح وحده.

<u>الله في الجسد – النعمة المتجسدة</u>

كان لكل من إسرائيل وقادتها تاريخ طويل من الفشل، لكن نعمة الله دائمًا وجدت طريقًا فبعد أربعة عشر قرنًا من موت موسى، قام الله بأعظم تعبير عن نعمته لإسرائيل. فوفاءً للوعود التي بدأت في جنة عدن، أرسل الله ابنه الوحيد المولود بطريقة فريدة إلى الأرض: لكن

"إلى خاصته جاء، وخاصته لم تقبله" (يوحنا ١: ١١).

وقبل أن يبدأ المسيح خدمته، كانت القيادة الروحية في إسرائيل قد فسدت بالكامل:

"فلما رأى كثيرين من الفريسيين والصدوقيين يأتون إلى المعمودية، قال لهم: يا أولاد الأفاعي" (متى ٣: ٧).

وفي إنسانيته، حزن المسيح على حال إسرائيل الروحي:

"وفيما هو يقترب من المدينة، نظر إليها وبكى عليها" (لوقا ١٩: ٤١).

وبعد أن وبّخ الفريسيين، نطق المسيح بهذا الحزن العظيم:

"يا أورشليم، يا أورشليم، يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها، كم مرة أردتُ أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها، ولم تُريدوا" (متى ٢٣: ٣٧).

بولس ينوح على رفض إسرائيل للمسيح

أقول الصدق في المسيح، لا أكذب، وضميري شاهد لي في الروح القدس، بأن لي حزنًا عظيمًا ووجعًا لا ينقطع في قلبي [الفص الأيمن]. فإني كنت أتمنى [لكن ذلك مستحيل] لو كنت أنا نفسي محرومًا، مفصولًا عن المسيح من أجل إخوتي، أنسبائي حسب الجسد، الذين هم إسرائيليون، الذين لهم التبني كأبناء، والمجد، والعهود، والتشريع، وخدمة الهيكل، والمواعيد، والآباء، ومنهم المسيح حسب الجسد، المبارك إلى الأبد. آمين (رومية ٩: ١-٥).

هل نفتقد شيئًا هنا؟ إن التبني كأبناء يعود إلى إسرائيل — وهو وضع لا يُنزع، كما درسنا. العهود التي أُبرمت مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب تعود إلى إسرائيل. القانون الكتابي للعهد القديم يعود إلى إسرائيل. نسب ناسوت المسيح يعود إلى إسرائيل. نعم، يسوع المسيح جاء من السلالة الملكية لإسرائيل! إسرائيل ذاتها التي وصفها يوحنا المعمدان بـ"جيل الأفاعي"، والتي من أجلها تمنى موسى، والآن بولس، أن يضحيا بخلاصهما!

كيف يمكننا أن نفسر نعمة الله تجاه إسرائيل؟ النقطة الجوهرية التي نود التأكيد عليها هي: النعمة هي ما يفعله الله للإنسان استنادًا إلى أمانة الله—وليس أبدًا (نكرر: أبدًا) بناءً على شخصية الإنسان، سواء كانت صالحة أو فاسدة! فإسرائيل تُجسّد أن خطة الله هي خطة نعمة. ففي محبته، يبارك ويؤدب في آنٍ معًا.

<u>مستقبل إسرائيل</u>

بسبب رفض إسرائيل ليسوع المسيح كالمسيّا، أوقف الله برنامج إسرائيل مؤقتًا وأدخل عصر الكنيسة. وخلال هذا العصر، يُشكّل المؤمنون بالمسيح "إسرائيل الروحية". ومثلما هو الحال مع الأمم، العرق ليس عائقًا أمام الخلاص.: فالفرصة متاحة للجميع بالتساوي

لكن، لا يزال الله مدينًا لإسرائيل العرقية بسبع سنوات. ما تبقّى من عصر إسرائيل سيأتي بعد نهاية عصر الكنيسة وقبل الظهور الثاني للمسيح .وتُعرف هذه الفترة التي تستمر سبع سنوات بـ"الضيقة العظيمة" أو "وقت ضيق يعقوب"، وهي فترة سيكون فيها نشاط تبشيري هائل.

وللأسف، سيموت كثير من المؤمنين وغير المؤمنين بشكل مأساوي خلال هذه الضيقة. ومع ذلك، لن يدخل الملكوت الألفي (الذي يستمر ألف سنة ويملك فيه يسوع المسيح على الأرض) إلا المؤمنون بالرب يسوع المسيح.

عندما يعود المسيح في نهاية الضيقة، "سَيُجْرِي عَجَائِبَ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الْأَرْضِ: دَمًا وَنَارًا وَأَعْمِدَةَ دُخَانٍ. سَتَتَحَوَّلُ الشَّمْسُ إِلَى ظُلْمَةٍ، وَالْقَمَرُ إِلَى دَمٍ، قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمُ الرَّبِّ الْعَظِيمُ الْمَهِيبُ" (يوئيل ٢: ٣٠-٣١).

لماذا يجب أن تتحول الشمس إلى ظلمة؟ حتى يرى الجميع يسوع المسيح، نجم الصباح الساطع، ملك الملوك ورب الأرباب عند عودته!

"وَأَفِيضُ عَلَى بَيْتِ دَاوُدَ [إِسْرَائِيل] وَسُكَّانِ أُورُشَلِيمَ رُوحَ النِّعْمَةِ وَالتَّضَرُّعَاتِ، فَيَنْظُرُونَ إِلَيَّ، الَّذِي طَعَنُوهُ، وَيَنُوحُونَ عَلَيْهِ" (زكريا ١٢: ١٠أ).

وفي العهد الجديد نقرأ: "هُوَذَا يَأْتِي مَعَ السَّحَابِ، وَسَتَرَاهُ كُلُّ عَيْنٍ، حَتَّى الَّذِينَ طَعَنُوهُ" (رؤيا ١: ٧). وبالطبع، آنذاك كما الآن، ليست كل إسرائيل الجسدية هي إسرائيل الروحية. لذلك فإن المسيح "سَيُنَقِّي مِنْهُمُ الْمُتَمَرِّدِينَ وَالَّذِينَ يَعْصُونَنِي" (حزقيال ٢٠: ٣٨أ). لا ينجو أي إسرائيلي غير مؤمن من عدالة الله.

الآن، تبدو رسالة بولس الرسول مفهومة:

"وَهكَذَا سَيَخْلُصُ جَمِيعُ [إِسْرَائِيل الرُّوحِيّ] كَمَا كُتِبَ: سَيَأْتِي الْمُنْقِذُ مِنْ صِهْيَوْنَ وَيُبْعِدُ عَن يَعْقُوبَ الْفُجُورَ. وَهَذَا عَهْدِي مَعَهُمْ، حِينَ أَنْزِعُ خَطَايَاهُمْ. أَمَّا بِالنِّسْبَةِ لِلإِنْجِيلِ، فَهُمْ أَعْدَاءٌ مِنْ أَجْلِكُمْ [أيها الأُمَم]، وَأَمَّا بِالنِّسْبَةِ لِلِاخْتِيَارِ، فَهُمْ أَحِبَّاءُ مِنْ أَجْلِ الآبَاءِ، لأَنَّ مَوَاهِبَ اللهِ وَدَعْوَتَهُ هِيَ بِلَا نَدَمٍ!" (رومية ١١: ٢٦-٢٩).

"وَأُبَارِكُ مُبَارِكِيكَ، وَأَلْعَنُ لَاعِنِيكَ" (تكوين ١٢: ٣أ).

هذا الوعد غير المشروط لا علاقة له بما يفعله الإسرائيليون—سواء خيرًا أو شرًا. إن سجلات التاريخ مليئة بأمم مدمّرة مناهضة للسامية. لا شخص، ولا أسرة، ولا أمة يمكنها تحمّل الانخراط في معاداة السامية. لقد لاحظنا العديد من إخفاقات إسرائيل، ولكن يجب أن يكون واضحًا وضوح الشمس أن الله **قادر تمامًا** على معاقبة إسرائيل عند الحاجة. فهو لا يحتاج إلى مساعدة أحد. الذين يظنون أن الله بحاجة لمساعدتهم في التعامل مع إسرائيل أو أي قضية أخرى، ينتظرهم تأديب شديد. لنلخص الدروس التي تعلمناها:

الدرس١: الله غير متغير، ونعمته لا تنقص ولا تزيد. لقد تعلمنا سابقًا عن ثبات الله، الذي يدعم جوهره ووظيفته بالكامل. بمعنى آخر، النعمة لا تتأرجح كالبندول.

الدرس ٢: النعمة غير مشروطة؛ لذلك لا تتأثر بشخصية الإنسان، سواء كانت جيدة أو سيئة. لقد رأينا كيف استمرت نعمة الله لإسرائيل رغم فشلهم الهائل. كان بإمكانه التخلي عنهم في أي وقت، لكن وعد نعمته قائم على نزاهته.

الدرس٣: النعمة تناقض الأعمال من جميع النواحي! رسائل بولس توضح بجلاء أن النعمة والأعمال لا يمكن أن يجتمعا. "فَإِنْ كَانَ بِالنِّعْمَةِ، فَلَيْسَ بَعْدُ مِنْ أَعْمَالٍ، وَإِلَّا فَلَيْسَتِ النِّعْمَةُ بَعْدُ نِعْمَةً" (رومية ١١: ٦).

الدرس٤: المؤمن المتكبر يضيف الأعمال إلى النعمة ليمجّد ذاته؛ أما المؤمن المتواضع فيسعى لأن يمتلئ بالروح القدس ليمجّد الله.

الدرس٥: ما يبدأه الله بالنعمة، يكمله بالنعمة! لا تزال إسرائيل محفوظة ومحصّنة بنعمة الله. قوى الظلمة (الشيطان وملائكته الساقطون) والمطالبات الإقليمية لا تؤثر على خطته، وإسرائيل الروحية سترث الأرض الموعودة إلى الأبد. وبالمثل، سيرث كل مؤمن الحياة الأبدية في يسوع المسيح، رغم اعتراضات الظلاميين والناموسيين.

الدرس٦: ما كنا عليه، وما نحن عليه الآن، وما يمكن أن نكون عليه في خطة الله، هو بالكامل نتيجة نعمته. بولس يوضح هذه الحقيقة:

"فَإِنِّي أَنَا أَصْغَرُ الرُّسُلِ، وَلاَ أَسْتَحِقُّ أَنْ أُدْعَى رَسُولًا وَلَكِنْ بِنِعْمَةِ اللهِ أَنَا مَا أَنَا عَلَيْهِ، وَنِعْمَتُهُ الْمَمْنُوحَةُ لِي لَمْ تَكُنْ بَاطِلَةً، بَلْ تَعِبْتُ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِهِمْ؛ لاَ أَنَا، بَلْ نِعْمَةُ اللهِ الْمَعِي" (١ كورنثوس ١٥: ٩-١٠).

لم يكن بولس يتباهى بعمله، بل كان يوضح بدقة مصدر إنجازاته. فعندما تتأمل في حياتك كمؤمن، وتقيّم ما وصلت إليه، لمن تُنسب الفضل؟ لولا نعمة الله، لكانت حتى أعظم إنجازاتك قد تلاشت وطواها النسيان.

الدرس ٧: النعمة ليست إذنًا للعيش كيفما نشاء دون مراعاة لله. إن تعثرنا في حياتنا الروحية، فلن تتخلى عنا نعمة الله، بل على العكس، فإن الله في نعمته سيؤدبنا. وإن تركنا طريقنا الروحي، فقد يعاقبنا بشدة، إن لزم الأمر، ليقودنا من جديد إلى حضنه — كما فعل مع الملك داود. وجدير بالذكر أن كل عقاب يناله المؤمن يقع في هذه الحياة، لا في الأبدية.

وقد قال الرسول بولس:
"فماذا نقول؟ أنستمر في الخطية لكي تزداد النعمة؟ حاشا!" (رومية ٦: ١-٢ أ)

فالله، بدافع محبته ومن خلال نعمته، يهب البركات ويستخدم التأديب أيضًا.

وخاتمة القول: إسرائيل وإن خانت عهد الله، فإن الله لم ولن يخون عهده معها. ستبقى إسرائيل وتنجو لتُحقق خطة الله. لا الأسلحة المتقدمة ولا المؤامرات قادرة على إفنائها. الله صادق في وعوده لإبراهيم ونسله.

وعلى نفس المنوال، نحن كمؤمنين قد أخفقنا أمام الله، لكن نعمته لا تخفق أبدًا:
"إن كنا غير أمناء، فهو يبقى أمينًا، لأنه لا يقدر أن ينكر نفسه" (٢ تيموثاوس ٢: ١٣).

ففي نهاية المطاف، القضية ليست في أمانة الإنسان، لا أمانة إسرائيل ولا أمانتنا نحن، بل في أمانة الله الذي لا يتغير.

أفكار ختامية

خلال خدمة ربنا يسوع المسيح على الأرض، كان من أعظم رغبات قلبه نحو المؤمنين أن يشتركوا في فرحه الكامل والكامل فقط فيه:

"كلمتكم بهذا لكي يثبت فرحي فيكم ويكمل فرحكم" (يوحنا ١٥: ١١).

ما هو هذا الفرح؟ يقول إرميا:

"وُجدت كلماتك فأكلتها، فكانت لي ككلمة الرب للفرح ولبهجة قلبي" (إرميا ١٥: ١٦).

كلمة الله هي مصدر الفرح الحقيقي، وهي أزلية لا تزول. والمؤمنون ينالون هذا الفرح العجيب من خلال إدراكهم اليومي وتعاملهم العملي مع تعاليم الكتاب المقدس.
هذا الفرح، الذي هو من عند الله، يمنح للمؤمن قوة روحية وثباتًا في المسير، كما جاء:

"فرح الرب هو قوتكم" (نحميا ٨: ١٠).

وعلاوة على ذلك، فإن الروح القدس يثمر هذا الفرح في نفس المؤمن حين يملك عليها ويقودها:

"وأما ثمر الروح فهو ... الفرح..." (غلاطية ٥: ٢٢).

وكل ذلك ليس بسبب من نحن، بل فقط بنعمة الله. لا أحد يُستثنى من هذا الفرح بسبب ضعفه أو لأنه لا يضاهي غيره، فالجميع مشمولون بالنعمة.

ثم نختم بهذه البركة الرائعة من رسالة يهوذا:

"والقادر أن يحفظكم من السقوط، ويوقفكم أمام مجده بلا عيب في الابتهاج، الإله الحكيم الوحيد مخلّصنا، له المجد والعظمة والسلطان والقدرة، الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور. آمين" (يهوذا ١: ٢٤-٢٥).

هذا الكتاب مُعدّل من شرح لاهوتي للراعي موسيس سي. أونوبويكو، وقد نُشر في نشرتنا الدورية **نعمة اليوم.**
إذا كنت ترغب في استلام نسخة مجانية من نشرتنا تلقائيًا، فلا تتردد في مراسلتنا، وسيسرّنا إضافتك إلى قائمتنا البريدية.

عينُه على العصفور
(ترنيمة تقليدية)

لماذا أشعر باليأس؟ ولمَ تحيطني الظلال؟
لماذا قلبي يشعر بالوحدة، ويشتاق للسماء والوطن؟
ويسوع هو حصني الأمين، صديقي الدائم الحنون؛
عينُه على العصفور، وأعلم أنه يرعاني،
عينُه على العصفور، وأعلم أنه يرعاني.

اللازمة (القرار):
أُرنّم لأنني سعيد،
أُرنّم لأنني حر،
فعينُه على العصفور،
وأنا أعلم أنه يرعاني.

"لا تضطرب قلوبكم"، أسمع كلمته الرقيقة،
وبالاتكال على صلاحه، تزول عني الشكوك والمخاوف؛
حتى إن لم أرَ سوى خطوة في الطريق الذي يقودني فيه،
عينُه على العصفور، وأعلم أنه يرعاني،
عينُه على العصفور، وأعلم أنه يرعاني.

اللازمة

حين أُجَرَّب، وحين تتكاثف الغيوم،
حين تُستبدل الترانيم بالتنهدات، وتموت الرجاء في داخلي،
أقترب إليه أكثر، فهو يحررني من كل هم؛
عينُه على العصفور، وأعلم أنه يرعاني،
عينُه على العصفور، وأعلم أنه يرعاني.

اللازمة...

ملاحظات

اشتَرِ الحقَّ ولا تَبِعْه

(أمثال ٢٣: ٢٣أ)

هل تعلم أن التعليم الصحيح من الكتاب المقدس هو قطعة ثمينة من الجواهر الروحية التي لا تُقدّر بثمن؟ بالفعل، لقد أظهرت لنا تاريخ الكنيسة مدى صعوبة الحصول على تعليم سليم، خاصة في المسيحية الحديثة (مسيحية ما بعد الحداثة).
لذلك، عندما يقودنا الله من واحة نعمته إلى لآلئ الحق في كلمته التي لا تخطئ ولا تتغير، يجب علينا أن نُقدّرها بلا تردد أو تحفظ.

الكتاب المقدس هو صندوق الكنوز الذي يحمل في طيّاته قدرتك على عيش حياة غنية، وجني أقصى درجات السعادة في الحياة، والصداقة، والزواج، والأعمال، والتمتع ببركات غير مسبوقة اليوم وغدًا.

لذلك، "اشترِ الحق" - أي تمسّك بالكلمة وأبقَ عليها أساسًا لحياتك، لأن:

"الحكمة خير من الجواهر، وكل ما تشتهيه النفس لا يعادلها" (أمثال ٨: ١١).

الحقيقة: حيث أنك لست تحت الشريعة، بل تحت **النعمة** (رومية ٦: ١٤ ب).

موسيس سي. أونوبيكو

موسيس سي. أونوبيكو هو مبشر ومعلم في المؤتمرات الدولية للكتاب المقدس. وهو رئيس ومؤسس خدمة النعمة الإنجيلية التي تأسست في عام ١٩٩٧. هذه الخدمة هي منظمة غير طائفية، تُعنى بتعليم الكتاب المقدس، وتقوم بأعمال التبشير، وأولويتها الأولى هي نشر إنجيل "الإيمان وحده بالمسيح وحده" إلى عالم ضائع وميّت روحيًا.

لقد درّس القس موسيس ونشر الإنجيل على نطاق واسع في أفريقيا، وآسيا، وأستراليا، وأمريكا الوسطى، وأوروبا، والشرق الأوسط، وشمال أمريكا. ولا يزال يسافر إلى أي مكان يفتح الله له فيه بابًا.

"لأني بنعمة الله أنا ما أنا عليه"

(١كورنثوس ١٥: ١٠أ)

وبنفس نعمة الله، سأُنجز ما يقصده الله القدير لي أن أُنجزه.
المؤلف

السياسة المالية

خدمة النعمة الإنجيلية لا تطلب التمويل. نحن نعمل اعتمادًا فقط على التبرعات التطوعية، مؤمنين بأن الله بنعمته سيستمر في تلبية احتياجاتنا المالية حين تظهر.

لا توجد قائمة أسعار لأي من موادنا. ولا يُطلب أي مال. عندما يحفّزك الامتنان لكلمة الله وفهمك للحاجة إلى الوصول إلى النفوس غير المخلصة برسالة الإنجيل البسيطة القائمة على النعمة وتعليم الكتاب المقدس. على التبرع، يكون لك شرف العطاء والمشاركة في نشر كلمة الله.

هذه خدمة النعمة.

أريحا
الطبعة المعدلة

قيادة الطريق للعودة إلى الكتاب المقدس.